I B R A H I M   A L - K O N I

nnawni WRITINGS

إبراهيم الكوني

الصُحُفُ الأولى ١

أساطير ومُتون





إبراهيم الكوني

الصُحُفُ الأُولى

أساطير ومُتون




الصُحُفُ الأُولى
اساطير ومُتون

الصحف الأولى : متون وأساطير
إبراهيم الكوني / مؤلّف من ليبيا
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
محمد سيبو ®
لوحة الغلاف :
من رسومات فنّاني ما قبل التاريخ / ليبيا
الصفّ الضوئيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان
التنفيذ الطباعيّ :
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-559-8

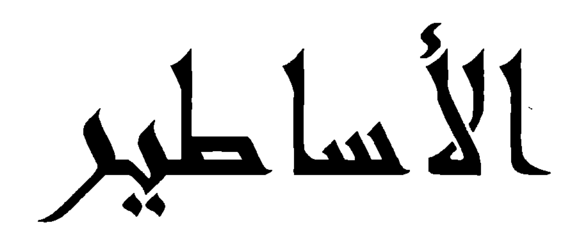
«إلى ب. صالح: اعترافاً له بذلك العمق الذي لـم يعرفـه فيـه كلّ مَنْ عرفــه».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إبرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

القرآن الكريم

سورة الأعلى (١٨ ـ ١٩)


الأساطير

البحـــر

«وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضًا، ومجتمع المياه بحارًا».

سفر التكوين (1:9، 10)

(1)

في البدء كان البحر شاملاً، مهجورًا، وحيدًا.

لم يكن البحر في البدء شاملاً، مهجورًا، وحيدًا، فحسب، ولكنه كان مهمومًا، كئيبًا، يعاني حنينًا مجهولاً. وقد استمرّت وحشته هذه أزمانًا لا حساب لها إلاً بمنطق الأبدية.

اعتاد البحر أن يقضي دهور وحشته متأمّلاً. يرنو إلى النجوم في الأعالي ليلاً، ويتطلّع للشمس نهارًا. حتّى إذا فاض به الشجن، وبلغ الحنين مداه، دمدم ليغنّي. كان يستدعي الريح بنداء خفيّ فيهرع الريح دائمًا لنجدته. يهبّ من مجهوله ليعينه في قرع طبوله، والرقص ببدنه المترجرج بالمياه، فيغنّي. يغنّي ويتمايل وَجْدًا حتّى يستلقي على قفاه من فرط الإعياء. يستلقي ليبكي. يبكي البحر

بدموع صنعها بيده. صنعها ببخار أنفاسه. ترتفع أبخرة الأنفاس إلى الأعالي لتسقط في جوفه دموعًا. فيضًا. وصيّة أحزان، فيرتجّ البحر الشقيّ، المهجور، الوحيد، ويرتجّ. يرتج طويلاً طويلاً قبل أن يستعيد سكينته ويهدأ. يهدأ ليرنو إلى أنجم السماء ليلاً، أو يتطلّع إلى أعجوبة الشمس نهارًا، و. . يتأمّل. يتأمّل ويتأمّل ويتأمّل ولكنه لا يفكّ بالتأمّل الطلسم، ولا يجد للأحجية مفتاحًا، ولا يدرك لعزلته سرًّا فيعاود النواح حينًا، ويستنجد بالغناء حينًا. إلى أن جاء حين.

جاء حين تلقّى فيه البحر وحيًا. كان قبسًا خفيًّا في البدء. هدهده في صلبه دهرًا. هدهده دهورًا بقياس الخلود، فاستوى. استوى بنبوءة فقرّر أن يخرج بها إلى الملأ، لأن النبوءة لن تصنع لآلامه حدًّا إن لم تخرج إلى الملأ. فتمخّض. تمخّض البحر يومًا لينجب من بطنه أعجوبة أطلق عليها إسم اليابسة. لفظ البحر اليابسة يومها فرأى على هامتها الجبال تيجانًا. رأى على بطنها شَعْرًا أسماه أعشابًا. رأى أعوادًا أسماها أشجارًا. لفظ معها كائنات أخرى صارت في الأرض بذارًا ما لبث أن تشبّث بالأرض منها فريق، ودبّ في ربوعها منها فريق.

اتخذ البحر لنفسه في ذلك الزمان اليابسة قرينًا يستأنس إليه ويعزّيه في عزلته الخالدة، ولم يدرِ البحر الشقيّ أنَّ القرين دائمًا بلبلة، وما يُلهي عن التأمّل، أو يشغل البال دائمًا بداية بلبال.

(2)

يروق للبحر بين الحين والحين أن يسترخي. يسترخي فيتمدّد حين يلثم بلسانه الرهيب رحاب اليابسة. يلثم اليابسة ليتسلّى. يتبادل مع القرينة التي أنجبها من صلبه همس الشجون ليلهو وليستشفى من داء الحنين القديم. يجود عليها بأنفاسه ليحميها من بطش الشمس فترتوي. ترتوي لتستسلم. تستسلم ليناجيها. ناجى البحر معشوقته اليابسة أزمانًا أخرى بقياس الخلود.

ولكن الأنفاس السخيَّة بلبلت الأمر. الأنفاس غذَّت شَعْر اليابسة الذي سمّاه البحر زمن التكوين نباتًا فتمادى وحجب عنه وجه معشوقته اليابسة. النبات تمادى وتطاول وصار أشجارًا. والأشجار تكاثفت وانعقدت وانقلبت مع الأيام أدغالاً. احتجبت اليابسة بستور الأدغال فاكتأب البحر. اكتأب لأنه أنجب اليابسة بمخاض النبوءة، وأحزنه أن يفقد طلعتها بأهواء البذار اللجوجة. تفكّر البحر طويلاً. اعتزل في أبديته أزمانًا قبل أن يستلهم من المجهول نبوءة جديدة. استلهم النبوءة فتمخّض للمرّة الثانية. تمخّض فأنجب دودةً هذه المرَّة. رمى بالدودة إلى رحاب اليابسة التي لم تعد يابسة. رمى بالدودة إلى اليابسة المغمورة بمتاهة الأدغال.

(3)

دبّت الدودة في وطن الأدغال. وجدت الأدغال شهيّة للنظر، طيّبة للأكل، فأكلت من طيبات اليابسة المغمورة بكل لون أخضر. أكلت الدودة ثمار اليابسة التي تلقّتها من الأدغال على سبيل الهبة.

ولكنها لم تشبع فالتهمت دواب الأرض وكل زاحفة جاءت بها اليابسة في أدغالها الكثيفة. التهمت والتهمت والتهمت حتّى قطعت دابر تلك الكائنات المسماة في رطانة الأجيال أنعامًا وحيوانًا. ولكنها لم تشبع. لم تشبع الدودة فاحتالت على كائنات الفضاء فأوقعت بها في الأشراك والتهمتها. التهمت الدودة كل ما دبَّ في الأرض أو هبَّ في السماء قبل أن تنقلب على الأدغال فالتهمت أشجارها أيضًا. التهمت أشجارها حاسرة الرأس تحترق بنيران الشموس. ولكن الدودة الرهيبة لم تكتفِ ولم تشبع. فقد نهلت من مياه البحيرات العذبة حتى قضت عليها، ثم استولت على الينابيع فشربتها بقدرة قادر. ولكنها لم ترتو ولم تشبع. لم ترتوِ لأنها شقَّت باطن اليابسة لتستخرج من جوفه المياه. تجرّعت الدودة الشقيّة من دم اليابسة، لأن الماء الذي استخرجته من عروقها لم يكن ماء، ولكنه كان دمًا. لم تشبع الدودة أيضًا لأنها ما لبثت أن أغارت على البحر نفسه فاستباحته. استباحته، لأنها التهمت تلك الكائنات التي أخفاها البحر في جوفه وكادت تبيدها أيضًا لولا غضبة البحر.

غضب البحر فقرّر أن يضع حدًا للمهزلة.

صمّم أن يقضي على الدودة الشقيّة ليعيد لليابسة سرّها المغتصب، وليستردّ لنفسه سكينته المفقودة. أطلق البحر النداء فهرع لنجدته الريح. زمجر وأزبد وغمر الدنيا بالطوفان.

(4)

أغرق البحر اليابسة بالطوفان ليهلك الدولة الشقيّة التي لا ترتوي

ولا تشبع ولا تقنع. أهلك البحر بمياهه بيوت سلالة الدود. غمر الدنيا وابتلع اليابسة في جوفه. ولكن كم كانت دهشة البحر عظيمة عندما اكتشف أن الدنيا كلها هلكت، ولكن الدودة العجيبة التي أنجبها يومًا من أحشائه لم تهلك. لم تهلك لأنها احتالت على البحر نفسه فغلبته بالدهاء. فقد ابتدعت الشقيّة من أحطاب الشجر فُلْكًا اتخذته مطيّة طَفَتْ بها على وجه المياه فنجت من الغرق!

استعجب البحر وانقطع الى نفسه. انقطع إلى نفسه ليستجدي النبوءة. سكن ليستردّ هدوء البال. رنا إلى النجوم ليستلهم. سكت ليتجسّس على المجهول. سكت طويلاً قبل أن يسمع صوت النبوءة وهي تقول له بوضوح أنه ارتكب خطيئة من حيث لا يدري. تساءل البحر العظيم عن سرّ الخطيئة فقالت له النبوءة بوضوح أشدّ: «ألا تدري أن التمادي خطر؟ ألم تعلم أن الطلب خطر جزاءه اللعنة؟ فلماذا لم تترك الأشياء تجري في أعنّتها فذهبت في طلب النبوءة حدًّا أبدعت فيه شرًّا؟». تساءل البحر زمانها عن سرّ الشرّ الذي تحدّثت عنه النبوءة فسمع جواب الإلهام القاسي: «نحن في أمان حتّى نخترع أمرًا. الأمر ينقلب شرًّا لأننا أعجز من أن نضع حدًّا للكائن إذا كان أو للمخلوق إذ خُلِق. غلبك مخلوقك الصغير بسرٍّ إسمه الدهاء لأنّك لم تعلم أن المجهول قد وضع ناموسًا يقول: لا يهلكنا إلاّ مَنْ أَمِنَّا، ولا يميتنا إلاّ مَنْ أنجبْنا!».

غولديفيل (الألب السويسري)

أكتوبر 2003 م

الماء

إنَّ البطولة أن تموت من الظمأ

ليس البطولة أن تعبّ الماء

(احمد شوقي في سرثية عمر المختار)

(1)

يوم صمّم أن يحتكم إلى الحكيم في صحراء الحمادة الغربية ليتلقّف من فمه النبوءة اتهمه أكابر القبيلة بالطيش. قالوا له أن العقل فيه قد تضعضع بعد أن بلغ من العمر عتيًا، لأن سليل الصحراء لا ينفض يديه من دنيا الصحراء ويترك الأهل والسهل والإبل ويذهب إلى آخر ربوع الحمادة الغربية لينال ما لا يُنال بعد أن بلغ من العمر أرذله. ولكنه لم يتزعزع. كانوا على علم بسيرة هذا الحكيم الغريب الأطوار الذي يرفض أن يرتاد ربعه من لم يأته على القدمين راجلاً، فما كان منهم إلاّ أن توعّدوه بالظمأ الأليم وأصناف الجوع وأهوال السبيل الذي تعوي في دروبه أشرس أجناس الذئاب، وتهيم في أرضه أفتك سلالات الأفاعي التي عرفتها الصحراء. ولكنه ركب رأسه!

ركب رأسه، فانطلق.

انطلق لأنه لم يهدهد في القلب حلمًا يومًا كما هدهد في الصدر الحلم الغامض المسمّى في لسان القوم النبوءة! لقد سمع الخلْق في زمن الطفولة يلهجون بسيرة الناموس المفقود «آنهي». سمع عقلاء القبيلة يقولون أنه أعجوبة مبثوثة في وصايا خفية، فلم يعرف وقتها عمًّا إذا كانوا يعنون أنها خفية خفاء الكنوز، أم أنها خفيّة لاستعصاء فكّ طلسم المعنى.

وجرّب أيضًا أن هؤلاء العقلاء لم يرووا السيرة، ولم يتحدّثوا عن بطولات، ولم يحتدموا في جدل، دون أن يستحضروا أقوالاً منسوبة إلى الناموس الضائع؛ سواء لأجل دعم هذا الموقف، أو لإثبات تلك الحجّة، أو لإسقاط ذاك البرهان، أو للإستخفاف بهذا الرأي أو ذاك.

صار له الناموس وسوسة آناء الليل وأطراف النهار، فكان يقتحم مغاور الجبال، ويفتّش في كهوف السفوح الموسّمة برموز وأشباح قالوا له أنها من حفر الأسلاف الأوائل، علّه يعثر على رقع الجلود المحمَّلة بنبوءة الناموس المفقود. كان الأقران الذين رافقهم في الخروج إلى المراعي آنذاك يتسلّون باصطياد الأرانب أو الضِّباب أو نهب أعشاش الطير، ولكنه لم يشاركهم ألعابهم يومًا. حاولوا أن يثنوه عن عزمه. قالوا له أن الناموس الضائع خرافة ككل الخرافات التي تجري على ألسنة عقلاء القبيلة. وبرّروا هذا الزعم المنكر بالقول أن الناموس الذي يسمّيه العقلاء ضائعًا لن يكون ضائعًا ما دام يجري على ألسنتهم في كل حين. وإذا كان ما يرددونه ليس وصايا مستعارة من الناموس المزعوم كما يدّعون، فذلك يعني أن

الناموس الذي يتحدّثون عنه، ويتغنّون به، ويحتكمون إليه، لا وجود له.

ولكنه لم يقتنع.

لم يقتنع فسخروا منه. لم يبالِ بحجمهم فأنكروه. بعد الإنكار ما لبثوا أن تجاهلوه، ثم هجروه. هجروه صغيرًا واضطهدوه كبيرًا. أدرك منذ ذلك الزمن البعيد أن الإنسان الذي يحمل في قلبه وسوسة للأغيار دائمًا عدوّ. البعض يفلح في إخفاء هذه العداوة، والبعض الآخر يجاهر بالعداوة. وقد ترعرعت معه عداوتهم هذه منذ الطفولة إلى اليوم الذي قرّر فيه أن يهجر مضارب القبيلة ويلتجىء للحكيم الذي يحمل في قلبه النبوءة المبثوثة في وصايا الناموس المفقود كما أكّد له تجّار القوافل ومريدو الحقيقة من عابري السبيل الذين يجوبون الصحراء شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.

عرّاف القبيلة اختلى به قبل الانطلاق بيوم ليقول له: «ما حاجة إبن الصحراء للنبوءة؟ على إبن الصحراء ألاّ يستسلم للأوهام، لأن فردوسه أن يكسب كنزًا، ويستدرج إلى المخدع حسناء، وينجب من بطنها ذريّةً تنشر في الصحراء إسمه. الأَوْلى أن تنضم إلى قافلة في طريقها إلى الأدغال لتأتي من هناك بكنوز التبر لتستدرج إلى مخدعك الخاوي امرأة بدل أن تقضي بقيّة العمر في الجري وراء النبوءة المزعومة!».

أدهشه أن يسمع ذلك من فم العرّاف الذي نصّب نفسه وصيًا على النبوءة، ولكنه وجد تسلية في ثرثرته عن الحسناء التي لا تُستدرج إلى المخدع بدون كنز، فضحك في طريقه بصوتٍ عالٍ.

(2)

ضحك وهو ينطلق برغم إحساسٍ غريب بالمرارة أيقظته فيه ثرثرة العرّاف بسيرته عن الحسناء الأبدية التي لا تهب قلبها بدون هباء التّبر المستجلب من مجاهل الأدغال. فهو لم يُدخل إلى فراشه الحسناء يومًا، بل ولم يفكِّر في إدخال الحسناء إلى مخدعه لا لأنَّ الحسناء مخلوقٌ لا يستسلم إلاَّ لمشيئة التّبر كما يؤكّد العرّاف، ولكن لأن وسواسه عن الوصايا الضائعة ألهاه عن الحسناء إلى حدّ أنه نسي وجود هذا اللغز من ربوع الصحراء نهائيًا.

قبل أن يعتلي الرابية المطلّة على مضارب القبيلة أدركه الدرويش راكضًا. استوقفه في السفح ليستوصيه. قال له وهو يلهث تارةً ويلفظ لعابه تارةً: «احترس أن تجتنب السبيل مهما تشعَّب، وانتبه كل الإنتباه للهاتف إذا هتف!». لم يفهم فاستوضح بإيماءة. ولكن الدرويش انطلق ببصره بعيدًا، بعيدًا، كأنَّه يسافر هو أيضًا في رحلة أخرى إلى ذلك البُعْد المجهول الذي لا تعرفه إلاّ سلالة الدراويش ولا تستبصره إلاَّ عين القلب لا عين الجسد. دمدم صدره بصوتٍ كلحن الحنين قبل أن يلقى في وجهه بالوصية دون أن يلتفت إليه: «لا صوت يعلو في الصحراء على صوت الهاتف إذا هتف. لا حكيم في الصحراء غير حكمة الهاتف إذا هتف. ولا نبوءة في الدنيا كنبوءة القلب إذا رأى». لم يفهم الأحجية مرّة أخرى، ولكن الدرويش لم ينتظره. تركه وهرول عبر السفح عائدًا من حيث أتى.

فكَّر في الوصية زمنًا، ثم ما لبث أن نسيها. نسيها قبل حلول

المساء لأنه اعتلى الرابية، وعبر التخوم، وتلقّاه عراءٌ فسيح، صارم، عارٍ، يمتد في استكبار حتى يلتحم بالأفق.

سار آناء الليل وأطراف النهار في الأزمان الأولى. شعر بالتعب، ونفذ زاد الماء في رحلة الأيام الأولى. ولكن الحنين إلى الناموس، الشوق إلى الوصايا، التوق إلى النبوءة، صار له زادًا حتى أنه لم يعرف أيّ مسافة قطع، وكم من أيام الصحراء انقضى. عرف شيئًا واحدًا وهو أنه لم يخن وصية الدرويش، ولم يحد عن الطريق شبرًا واحدًا. في البداية ساورته الشكوك، وقال في نفسه أنه ربما ظلَّ السبيل، لأن الأمد طال، والصحراء تمتد وتتسع، ولا علامة في الأفق تشهد ببلوغ الضريح القديم الذي يتخذه حكيم الأجيال مأوى. ولكنه لم يسمح للوسواس بالتشكيك في نوايا الدرويش. قال لنفسه أن الدرويش لن يكذب مهما كذب الكذّابون. الدرويش لن يخون مهما خان الخونة، لأن الدراويش ملّة لا تخون الأغيار إلاّ إذا قررت أن تخون رسالتها، أن تخون نفسها. ثم..

ثمّ جاء زمان الظمأ.

الظمأ قَدَر المهاجر. الظمأ قدر العابر سواء أهجع إلى جوار معشوقته في الخباء، أو خرج طلبًا للنّبوءة: صاحب الهجعة ظاميء إلى الحنين، وصاحب العبور ظمآن إمّا إلى الماء، إمّا إلى النبوءة. ولكن ظمأه إلى الماء هذه المرّة كاد يجعله يتيقّن بأن الظمأ إلى الماء لا يختلف كثيرًا عن الظمأ إلى النبوءة المجهولة التي دفع أيّامه الخالية دم قربان في سبيلها.

الماء! الماء! الماء حقًّا رسالة مثله في ذلك مثل النبوءة. الماء يتجسَّد فيحيينا بالغمر، الماء يتبدَّد فيحيينا باللغز، يحيينا بسرّ الخفاء، يحيينا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، يحيينا بالنبوءة. الماء يحيينا حيًّا وميّتًا. الماء الذي يضحّي بنفسه ليبعثنا أحياء. الماء الذي يغيب لنتبدّى، ويعود من رحلة المجهول حيًّا ليتيقَّن بأننا ما زلنا على قيد الحياة!

لا يدرك إلاّ الظمآن حقًّا أن الحياة ليست سوى قطرة ماء!

(3)

كان عليه أن يدرك هذه الحقيقة أكثر يوم طال به المدى، واستلقت الصحراء في امتداد يتوالد ويتوالد لا يعد بخلاص ولا بنهاية مطاف. لقد خدعه أهل العلم بحيل الخلاء يوم قالوا له أنه سيجد في السبيل بئرًا حتمًا إذا لم ييأس. سيجد بئرًا حتى لو لم يوجد في تلك الأنحاء أي بئر. لأن الصحراء داهية علّمت الأجيال صنوف السّحر. الصحراء ساحرة تستطيع أن تطرح في وجه العابر مستنقع ماء طرح الفجاءة: تستعيره من سحابة طائشة، أو تكشف عنه في حضيض كهف أخفته عن أنظار السابلة زمن السيول، وإذا أعجزتها الحيلة فإنها تستدعي الريح لتستعين بهذا المارد في زحزحة الأتربة لتكشف عن كنزها الذي خبأته في بئرٍ عريق يرجع بالعمر إلى آلاف الأعوام.

الشرط ألاّ تيأس.

ولكن يومها فقط أدرك أن لا بطولة مع الظمأ. زمان الرحلة

فقط أدرك أن البطولة ليس أن ترمي بنفسك إلى أحضان التهلكة، ولكن البطولة أن ترمي بنفسك إلى أحضان الظمأ. البطولة ليست أن تذوق مرارة الموت. البطولة أن تعرف مرارة الظمأ.

فكيف لا ييأس إذا كان اليأس يتطلَّب بقية من عقل، والعقل ذهب به الظمأ؟

(4)

ركع في السبيل مرارًا لينهل من فلول السراب. ولكن السراب كان يفرّ فيترك له رمضاء حارقة مغمورة بحجارة مصفوفة كأنها منسوجة في بساط يشتعل بنيران شموس لا ترحم ولا تبالي.

مضغ التربان الرامض فسرى في بدنه كله بالحريق. كافح ليتنصّل من لقمة النار، ولكن خلوّ الفم من اللعاب خذله فاستعان بأصابعه للتخلّص من لقمة النار. ثم..

ثم حان أوان التعرّي.

استثقل أثوابه الفضفاضة. تهيَّأت له فجأة عبئًا فظيعًا فاستعجب كيف استطاع أن يحتملها كل هذا الزمان، فانتزعها. انتزعها بتمهّل أهل الظمأ. تلذّذ وهو يتعرّى. تلذّذ وهو يتحرّر برغم الظمأ. التحرّر أنساه حتى الظمأ. ما ألذّ أن يتحرَّر الإنسان. فهل الحرية فضيلة الظمأ؟

استشعر رغبة مفاجئة، محمومة، في أن يتحرَّر من.. من جسده! بلى، بلى، من الجسد أيضًا. ساعتها أدرك حقيقة. ساعتها

أدرك حقيقة الحقيقة: أدرك أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك الغاية إن لم يتحرّر من جسده. ولا يستطيع أن يتحرّر من جسده إن لم يتحرّر من حيائه. ولا يستطيع أن يتحرّر من حيائه إن لم يتحرّر من حاجته إلى الماء!

زحف إلى الأمام عاريًا. زحف على ركبتيه ويديه عاريًا. صار جزءًا من خلاء الصحراء الخالد، فاستشعر الاطمئنان. حلَّ فيه سكون مريب أنساه قدره الشقيّ. لم يعد مع الصحراء في خصام، ولا في خصام مع السماء. الإحساس الغامض زوَّده بقدْرة على المضي، على الزحف إلى الأمام، فزحف. زحف مسافة قصيرة عندما تبدَّى في ظلمات الظمأ شبح النصب، فسمع النّداء بوضوح.

(5)

سمع النداء بوضوح:

ـ إشرب!

لم يشرب فتكرّر الأمر بصوت صارم:

ـ إشرب!

حكَّ عينيه ليتبيّن الأشياء. في غلالات الظلمة تراءى كوم الحجارة المستدير. من قمة الكوم رأى دَلْوًا يتدلّى. فهل الجرم حَرَم ضريح أم أنه فوهة بئر؟

مدّ يده ليتناول الدّلو. هجم عِلى الدلو وحشا فيه رأسه. ولكنه لم يجد في جوفه غمرًا. في فمه أحس بطعم اليبوسة. بطعم

القسوة. بطعم النار. بطعم الرمضاء، فاستنكر بأعلى صوت:

ـ ما هذا؟

فسمع الصوت الجليل، العميق، عمق البئر الذي ينبع منه:

ـ هذا تبر!

استنكر:

ـ في فم الظمآن يا مولاي يستوي التبر والتراب!

ـ ولكنك بالتّبر تستطيع أن تشتري الدنيا.

ـ ولكني لم آتِ يا مولاي في طلب الدنيا.

ـ من وَجَدَ نفسه في الدنيا يطلب الدنيا حتى لو ادّعى رفض الدنيا.

ـ لم أطلب سوى النبوءة منذ ميلادي.

ـ عجبًا! الخلْق تفرّ من النبوءة وأنت تطلب النبوءة؟

ـ للخلْق دينٌ ولي دين!

ـ عسير أن أصدّق إنسانًا لا يريد أن يستدرج إلى مخدعه الحسناء!

ـ أظن أني سمعت هذه الوصية من العرّاف.

ـ العرّاف لم يخطىء.

ـ ماذا يريد مولاي أن يقول؟

ـ أردت أن أقول ما قاله العرّاف: استمتع بدنياك لأنك لست سوى سليل دنيا يحيا للدنيا وبالدنيا.

ـ ألاّ يحق لسليل الدنيا أن يطلب الوصايا المفقودة؟ ألاّ يحقّ لسليل الدنيا أن يطلب النبوءة؟

ـ يحق له أن يطلب النبوءة إذا قرّر أن يعرف الخطيئة.

ـ الخطيئة؟

ـ كل شقوة في عرف الدنيا خطيئة، وطلب النبوءة أكبر شقوة. بل طلب النبوءة قصاص وأي قصاص!

ـ قصاص؟

ـ مريد النبوءة لا يحيا. مريد النبوءة جثمان على قيد الحياة، فلماذا لا تريد أن تلتحم بحسنائك وتسرح في الخلاء بإبلك، وتغنّي مع من يغنّي أغاني الفرح لا أغاني الحنين؟

ـ أغنّي يا مولاي أغاني الحنين لأنها عزاء مريد النبوءة الوحيد.

ـ إيّاك وأغاني الحنين!

ـ لا أملك يا مولاي خيارًا.

ـ هل أنت على يقين من أنّك لا تريد تبرّا؟

ـ أريد يا مولاي ماء! لا أريد يا مولاي سوى جرعة ماء!

ـ حسنًا!

سمع كركرة البكرة. سمع سقوط الدلو في غمر الهاوية. سمع

كركرة البكرة وهي تعود بالكنز. مدَّ كلتا يديه ليتلقّف الدلو الملآن بالكنز. سقط برأسه في الدلو. غاص في التراب مرة أخرى. دفع الدلو واستخرج المسحوق الناري بيده مرة أخرى. احتجّ:

- ما هذا؟

جاءه الصوت عميقًا، قاسيًا، غامضًا في قسوته:

- هذه نبوءة!

- نبوءة؟

- نبوءة الدنيا: التبر نبوءة الدنيا.

- ولكنني لا أريد نبوءة الدنيا.

- يحسن بك أن تفكّر مليًا قبل أن ترتئي لنفسك خيارً.

- وصية النبوءة قدري لا وصيّة الدنيا.

- تعني وصية القصاص؟ تعني وصية الخلاص؟

- لا أفهم.

- لا ننال وصية الخلاص ما لم ننل وصية القصاص.

- إدفع عنّي التبر يا مولاي وهبني قطرة الماء.

- هل أنت على يقين؟

- نعم.

ساد صمت. سمع كركرة البكرة مرة أخرى. سمع ارتطام الدّلو

بغمر البئر في القاع. سمع رحلة البكرة وهي تعود بالكنز. فهل سيتلقّى السخرية مرة ثالثة من كفّ المجهول؟

سكتت البكرة عن الكركرة. مدّ يده ليتلقّف العطِيّة. حشا رأسه في جوف الدلو فغرق في الغمر. تجرّع بشراهة. تجرّع وتجرّع وتجرّع. تنحّى بفمه عن الدلو. نفث أنفاسًا. ولكن الرؤيا لم تتضح بعد. سمع النداء:

ـ هل وجدت نبوءتك اليوم؟

ـ لا أفهم.

ـ هل في الماء النبوءة؟

تمهّل. تفكّر. قال:

ـ لا أعلم يا مولاي. ما أعلمه أن الماء هو ما أريد.

ـ هل عرفت حقيقة الماء قبل أن تعرف حقيقة الظمأ؟

ـ كلاّ. لم أعرف حقيقة الماء إلاّ اليوم.

ـ ألم تَرَ أنّنا لا نعرف حقيقة ما بأيدينا إلاّ إذا فقدنا ما بأيدينا؟

ـ بلى. لم أعرف حقيقة الماء إلاّ يوم فقدت الماء؟

ـ أليس الماء نبوءة؟

ـ بلى يا مولاي. الماء نبوءة؟

ـ فلماذا إذن تبحث عن النبوءة في الخلوات النائية وهي أقرب لك من حبل الوريد؟

ـ لا أعرف. ربما لأننا ملّة لا تعرف حقيقتها إلاّ إذا نالت القصاص يا مولاي.

ـ لا يجب أن نستبدل ما لا يباع بما يباع أبدًا!

ـ صدق مولاي: لا يجب أن نستبدل ما لا يباع بما يباع أبداً.

ـ ألا ترى أن هذه هي النبوءة؟

ـ بلى. هذه هي النبوءة.

ساد صمت. ابتلع الصمت الصوت فغاب النداء. تساءل بحياء:

ـ هل هذا كل شيء؟

مضى زمن قبل أن يسمع الصوت من جديد:

ـ هذا كل شيء: لا يجب أن نبحث عن شيء بعيدًا عنّا.

ـ هل يستطيع مولاي أن يبدّد الغشاوة عن عيني لأرى وجه مولاي؟

ساد سكون. سمع النداء عميقًا، بعيدًا، خفيًا:

ـ وما حاجة المريد لأن يرى وجهي إذا كان قد سمع قولي؟

ـ مَنْ رأى ليس كمن سمع.

ـ هراء! من سمع فقد سمع صوت الحقّ، ومن رأى فقد رأى وجه الباطل، فاحترس!

كرّر الرجاء ولكن الصوت لم يجب. سرى الماء في عروقه

فتبدّدت الغشاوة عن عينيه. وجد نفسه يركع عند فوهة بئرٍ قديمٍ قِدَمَ الصحراء لم تتحدّث بسيرته ألسنة العابرين، ولم يره أرباب القوافل، ولم يأتِ على ذكره أحد.

تلفّت حوله فرأى شمسًا غاربةً. تفقّد نفسه فوجد جسده عاريًا.

غولديفيل (الألب السويسري)

اكتوبر 2003 م


المتـــون

حوار حضارات أم وحدة حضارات؟

تمهيد في وحدة الجذور(*)

أليس من حقّنا أن نندهش لعبارة «حوار الحضارات» ونحن أعلم الناس بأننا لم نشهد في دنيانا هذه عالمًا غير عالمنا الواحد هذا، ولم نعترف بغير الحقيقة الواحدة، ولم نعرف في أرضنا هذه غير الإنسان الواحد، كما لم نعبد غير الإله الواحد؟ أليس التحدث عن «وحدة الحضارات»، في عالم هذه ديانته، بدعة غايتها الاغتراب (اغتراب الانسان عن أخيه الانسان) بدل أن تكون الدعوة نداء غايته الاقتراب (اقتراب الانسان من أخيه الانسان)؟

يقول هيغل في «فلسفة الدين» أن وحدة الجذور اللغوية برهان على وحدة الجذور السلالية. فإذا آمنّا بهذه المقولة، وإذا وافقتموني في ما أثبتناه في «بيان في لغة اللاّهوت» بأجزائه الأربعة الصادرة حتى الآن الذي نبرهن فيه بالدليل العلمي على وحدة هذه الجذور اللغوية من خلال اللسان الذي أطلقنا عليه اسم «اللغة البدْئيّة» ذات البُعد الديني، فإن مبدأ وحدة الحضارات لن يظلّ حلمًا يجوس في قلوب عشاق الإنسانية، كما لن يقتصر الأمر أيضًا على نظرية

(*) محاضرة المؤلف الأولى في مركز الدراسات التاريخية الليبي على هامش ندوة «حوار الحضارات».

ارتحال القيم الثقافية من هذا الوطن لتولد عناصرها في ذلك الوطن. ولكن اليقين أن رحلة الانسان التي بدأت بعد الانبثاق من عمق اليمّ كما تحدِّثنا الكتب المقدَّسة ليجد الإنسان نفسه وحيدًا، أعزلاً، عاجزًا، في ربوع وطنه الجديد (اليابسة) ليست في الواقع رحلة ميتافيزيقية وحسب، ولكنها رحل لعبت فيها علاقة الانسان بالطبيعة دورًا بارزًا، كما لعبت هذه المملكة في تدهورها وتذبذبها في مختلف المراحل دورًا لا يقلّ خطورة.

فالتحرر من الغمر المائي يعادل رمزيًا التحرر من بطن الأم، أي الميلاد، إذا استخدمنا لغة الديانات السماوية. وانحسار المياه عن اليابسة لم يفسح المجال للحياة الدنيوية (أو الأرضية) وحسب، ولكنه فتح الباب أمام تلك الشقوة التي دأبنا على تسميتها الاغتراب الروحي الذي ما زال إنساننا البائس يعاني منه إلى يومنا هذا.

ويبدو أن جدل اللغز الروحي مع لغز الطبيعة قد ساهم في دفع الإنسان إلى الحركة. تلك الحركة التي ما زال الإنسان يرى فيها حافز وجوده إلى اليوم. أي أن القلق الوجداني قد أوجد في روح الانسان الحاجة إلى ما نسميه اليوم رسالة. ولذا كانت حياة إنسان البدايات ارتحالاً مستمرًا. أي أن ظاهرة الترحال التي نجد الأمم الصحراوية تتخذها عقيدة حياة إلى اليوم، إنما كانت لإنسان البدايات ناموسًا بديلاً لما نسميه اليوم ديانة. والديانة بمفهومنا اليوم لم تولد في عقل هذا الإنسان إلاَّ عندما وقف أمام ظاهرة الموت حائرًا. فكلنا يعلم أن الإنسان عاش مرحلة من تاريخه لم يلجأ فيها لدفن موتاه. ولكن الوعي بقداسة الجثمان دفع الإنسان لأن يدفن

أخاه الإنسان في أكوام الحجارة لتكون للميّت علامة خالدة خلود الحجر. هذه القداسة تحوَّلت مع الزمن وسوسة روحية أوجدت السؤال الكوني: من أنا؟ والسؤال الكوني: «من أنا؟» لا بد أن يتخّض عن الإيمان. لأن من يتساءل عن هوية الذات اليوم، لا بد أن يتساءل عن حقيقته الدينية غدًا. لأن سؤال: «من أنا» إنما يعني في حقيقة الأمر سؤال: «أين الله؟». من هنا جاء إكبار الإسلاف في ديانات العالم القديم رديفًا للدين في طوره التكويني. ذلك الإكبار الذي جسَّده إنسان ذلك التاريخ في العناية بالأضرحة التي تحوي رفات هؤلاء الأسلاف.

مع تدفّق الزمان وتراكم التجريب تخلّى الانسان عن الترحال وركن إلى جوار أضرحة الأسلاف لإرواء حنينه لا إلى الأهل الذين رحلوا وحسب، ولكن لإشباع الحاجة إلى المطلق، لإطفاء الحنين إلى الألوهة، فتحوّل الضريح رمزًا ميتافيزيقيًا، أي معبدًا.

هذه النزعة ما لبثت أن قلبت حياة الإنسان رأسًا على عقب، لأنها أوجدت أعجوبة لعبت دورًا خطيرًا في بنيان الحضارة من خلال الاستقرار.

استقرَّ الإنسان إلى جوار سلفه المقيم بين جدران الضريح. وجدران هذا المعبد هي التي أوحت له أن يتخذ لنفسه بيتًا أيضًا على غرار بيت السلف، فتطاول في البنيان. والبنيان عندما تجاور مع البنيان صار زحام ذلك العمران الذي نسمّيه اليوم مدنًا. ولهذا السبب نجد اللغة الليبية القديمة تطلق اسم «آزكّا» على المدينة الذي

كان يعني وما زال يعني في لسان أحفادهم الطوارق: «المقبرة». لأن المدينة كمفهوم بدئي ليست سوى طابور قبور. وهذا أيضًا ما يجعل اللغة العربية تستعير اسم «قبر» الذي يعني في لغة الطوارق البدئية «كوخ»، أي «بيت». أي أن عبقرية العقل البدئي أبت إلاّ أن تسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية عندما زاوجت بين مفهوم «البيت» و«المدينة» و«الضريح». لأن القبر في حقيقته الأصلية ليس سوى بيت الأبدية، كما أن البيت في حقيقته الأصلية ليس سوى قبر الدنيا.

وكما انبثقت الحضارة من انحسار المياه وبروز اليابسة، أعني بسبب عوامل الطبيعة، كذلك تضعضعت حضارة اليابسة بسبب هذه العوامل بالذات. أي بلعنة التصحّر وتبدّد المياه. فكان لزاماً على مارد الحاضرة أن يشمّر على ساعديه ويشدّ الرحال في أثرها. ومطاردة المياه من وطن إلى آخر، ومن قارة إلى أخرى، تجربة أدّت إلى نفي الإنسان من فردوسه، ودفعته إلى الاغتراب دون أن نستنتج بذلك بالضرورة انقطاع هذا المهاجر عن جذوره الروحية البدئية. أعني أن تجربة الخروج من الفردوس ليست مجبولة بلعنة النسيان على الدوام. أي أن الانسان الذي انطلق من قارة اسمها الصحراء الكبرى يومًا وذهب ليقيم على شطوط نهر النيل لم يترك ديانته وراءه، كما لم يتخلَّ عن موروثاته وتجربته الوجودية والدينية والعملية السالفة بدليل أننا نجده قد استخدم ذات التقنية التي اخترعها في ربوع صحرائه الكبرى لإقامة أضرحة أسلافه، ليقيم بها في وادي النيل ما اصطلح على تسميته في مصر القديمة بـ«بيت

الأبدية» الذي أولاه الإنسان المصري أهمية تفوق الأهمية التي أولاها لبيت دنياه.

كما آمن بذات المعتقدات، وعبد ذات الآلهة، ومارس ذات الطقوس، واستخدم ذات اللسان.

وما ينطبق على هذه التجربة التي نسوقها هنا كمثال ينطبق على تجربة انتقال أخرى لذات الحضارة إلى بلاد ما بين النهرين، كما ينطبق على تجربة انتقال الحضارة إلى الجزيرة العربية، وكذلك إلى الشطآن الأخرى لحوض هذا اليمّ العظيم، الرومانسي، الغامض، الثري، المتوسط، ليشهد ميلاد ذات الحضارة في تجربة اليونانيين وبلاد اللاّتين.

وسيماء هذه اللعنة (لعنة الإغتراب، أو الإرتحال) هو ما سيكشف عنه تحليل متون العالم القديم الملحمية التي سيتناولها المتن التالي.

حوار حضارات أم وحدة حضارات؟

في طلب عنقاء المستحيل(*)

لا يجب أن تكون البرهنة على وحدة إنسان هذا العالم كسلالة هي الهاجس، ولكن ما يهمّ حقًّا هو البرهنة على وحدة إنسان عالمنا كقيمة، أي كعرفان؛ لأنَّ هذا وحده ما سيعيننا لا على اكتشاف الجذور السلالية للخليقة البشرية وحسب، ولكن على اكتشاف الحقيقة الوجودية للانسانية، وبالتالي على اكتشاف الهوية الميتافيزيقية للسلالة البشرية.

وما دامت المتون قد أعجزتنا في فكّ الطلسم الخالد عن الهوية، سواء ذات البُعد الديني منها أو ذات البُعْد الفلسفي، ناهيك عن الانتربولوجي، فلا مفرّ في سبيل الاهتداء إلى حقيقتنا من الاحتكام إلى سلاح رأى فيه إمام الفلسفة الحديثة هيغل مقياسًا لكل ديانة حقيقية لا شعائرية كما هو الحال مع: التأمّل. وهو سلاح سيبقى عاجزًا يقينًا لو لم تهبّ لنجدته تلك اللغة التي يقول عنها هايدغر أنها هي التي تتكلمنا لا نحن الذين نتكلّمها، تلك اللغة التي جعلها بارمانيد رديفًا للوجود كله قبل هايدغر بآلاف الأعوام وتبنّاها

(*) محاضرة المؤلف الثانية في مركز الدراسات التاريخية الليبي على هامش ندوة «حوار الحضارات».

أرسطو من بعده، وتدرَّجت عبر الفكر الإنساني إلى أن وضعت حجر الأساس لفلسفة ديكارت في المقولة التي تتردّد اليوم على كل لسان: «أنا أفكّر، إذن أنا موجود».

فماذا يقول مارد التأمل عن حقيقة الانسان؟ وبأي حيلة تستطيع اللغة أن تستجلي سرًا يجوس في ملكوت الخافيات؛ نستشعر وجوده ولا نملك لإدراكه حيلة، يشحن وجودنا حنينًا إليه، ولكنه يتفلّت في كل مرة ليدير لنا ظهره حتى لا نرى له وجهًا، متفنّنًا بذلك في ضروب مراوغة لا نجد لها في تاريخ الحكمة مثيلاً كما نجده في متون «لاوتسي» في بحثه المميت للتعبير عن حقيقة «التاو»؟

وما دمنا قد عرَّجنا في مسيرنا على الحكمة كإبن شرعي لسلاح التأمّل فجدير بنا أن نتوقف عند حَرَم البدايات. حَرَم الحكمة البدْئية الأقرب إلى الجذور الأولى، حَرَم ما اصطلح على تسميته في تاريخ الفلسفة: «حكماء ما قبل سقراط». ذلك المحفل المهيب الذي تصدّره هيراقليط الذي لم يفز بلقب «الغامض» إلاّ لرِدياته في استخدام حجر الحكمة الذي اصطلحنا على تسميته منذ قليل: «تأمّلاً» بدل أن نسمّي الأشياء بأسمائها فنقول: «تنبؤًا».

وعلّ أولى نبوءات كاهن الأجيال «هيراقليط» وأكثرها أهمية نبوءته القائلة: «**تحليل الأسماء إنما هو ما يؤسّس لمنهج معرفة الوجود**».

ونحن، يقينًا، لا نستطيع أن نستخدم تميمة إمام حكمة العالم

القديم هيراقليط هذه دون أن يهبّ لنجدتنا أحد أهم أركان محفل الحكماء السبعة «تاليس الميليتي» الذي تحدَّث عن حقيقة الانسان فقال أنها **مغمورة في قاع اليمّ**، أي أنَّ البحر هو المنبت الأول للسلالة البشرية.

وقد جاءت ديانات الوحي السماوي لتؤكّد هذه النبوءة بداية بأوّل إصحاحات أوّل أسفار العهد القديم (التكوين) ومرورًا بالأناجيل المسيحية التي زاوجت في متونها بين مبدأ الغمر ومبدأ الروح في أكثر من إصحاح، ونهايةً بآيات القرآن الكريم سيّما الآية: **﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾** التي تجري على لسان كلّ مسلم.

ويبدو أن البحر، من هذا المنطلق، لم يستهو شعراء الملاحم في مختلف الأمم إلاّ **لبُعده الميتافيزيقي** هذا الذي يجعل منه مجهولاً يتكتَّم لا على سرّ وطن الإنسان المفقود فحسب، ولكن على هويته المفقودة، على حقيقته المفقودة، على **فردوسه المفقود** بتعبير أولي.

وليس عبثًا أن تصير هذه **القيمة المفقودة** في رحلة الانسان الوجودية **موضوعَ مركزيًا** في أهم النصوص الأدبية الملحمية في تاريخ كل الأمم، عبر كل الأزمنة.

فرحلة جلجامش إلى العالم السفلي لم تكن في بُعْدها الاستعاري إلاّ رحلة الإنسان في بحثه الخالد والمميت عن الوطن، لا عن الوطن كمكان أرضي، ولكن عن الوطن كبعْد ميتافيزيقي،

أي البحث الخالد والمميت عن حقيقة الانسان الوجودية في البُعْد المطلق، أي البحث عن **اللغز كقيمة روحية مفقودة**.

نزعة الاغتراب البدئي هذه التي نجدها في ملحمة جلجامش كأقدم متن ملحمي عرفته الإنسانية هي التي انتقلت عدواها إلى أمم الشطّ الآخر للبحر المتوسط لتسم أقدم متنين من متونها (الإلياذة والأوديسة) بهذه **اللعنة المقدّسة**: لعنة الاغتراب، لعنة العزلة، لعنة الحنين إلى الهويّة المفقودة.

وعلّنا نستطيع أن نكتشف بيسر **الهويّة المجازية المشتركة للمتون الثلاثة (جلجامش، الإلياذة، الأوديسة) إذا احتكمنا إلى حجرنا الفلسفي الذي استودعناه منذ البدء في التأمّل**، لأنه وحده يستطيع أن يرينا أن «هيلين» التي خرجت كل ممالك اليونان في طلبها لم تكن مجرّد إمرأة حسناء في واقع الأمر، ولكنها بعد **رمزي** يرادف في حقيقته الاستعارية **عشبة الخلود** التي خرج جلجامش في طلبها برفقة قرينه أنكيدو. ويحدّثنا هيردوت في تاريخه كيف استبقى فرعون مصر على «هيلين» في بلاده عندما علم أن «باريس» إنما اختطفها من قرينها مينولاوس اختطافًا تجنّبًا للفتنة مع اصدقائه اليونانيين. وهو احتمال منطقي ما لبث أن أكَّده واقع أشرس حروب العالم القديم. لأن الطرواديين لم يكونوا ليضحّوا بطروادة وبأهل طروادة في سبيل امرأة حتى لو كانت هذه المرأة أسطورية تلقّوها من يد ربّة الجمال أفروديت.

هذا يعني أن عبثية هذه الحرب لم تكمن في خوض اليونانيين

لحرب مميتة في سبيل امرأة وهمية لا وجود لها داخل أسوار أعدائهم، ولكن في عدم قدرة الطرواديين على إثبات صدق نواياهم، أي في عجزهم على إثبات خلوّ بلادهم من المرأة، لأن اليونانيين لن يصدّقوهم. ولهذا فمن الطبيعي أن تتحوّل هيلين لعنة على الطرفين المتحاربين كما تحوّلت حواء التكوين من قبلها لعنة على آدم وعلى سلالة آدم من بعده. أي أن هيلين ما لبثت أن انقلبت في عقل اليونان **مثالاً** لا بدّ من نيله، **رمزًا لا يختلف** عن الرمز الديني. أي ذلك الحلم الميتافيزيقي الذي نستطيع أن نسمّيه بلغة اليوم **حقيقة**.

وأما المرأة التي تتحدَّث الملحمة عن استردادها في نهاية الحرب فالاحتمال الأرجح أن تكون حسناء أخرى بديلاً لـ«هيلين» الضائعة ضياع كل حقيقة في هذه الدنيا.

مارد التأمل وحده أيضًا يستطيع أن يهدينا إلى حقيقة أن الوطن الذي اغترب في سبيله أوليس وأشرف على الهلاك مرارًا، ونزل في سبيل نيله إلى أوطان العالم السفلي، ليس جزيرة «إيتاكا»، ولا أي وطن دنيوي في الواقع، ولكنه الوطن الاستعاري، الوطن في بُعْده الضائع الذي اصطلحت الديانات السماوية على تسميته **فردوسًا مفقودًا**.

وإذا تأملنا آخر أهم ملاحم العالم القديم أيضًا المتمثلة في «الأنياذة» فلن نحتاج إلى كثير عناء كي نكتشف أن شقوة البطل الطروادي «أناي» ليست ناتجة عن فقدانه لطرواده، ليست في فقدانه

للوطن الأرضي، وليست في لهفته لنيل وطن أرضي بديل، ولكن شقوته ناتجة عن حنينه لنيل الوطن المفقود في بُعْده الماورائي، في **بُعْده الحقيقي**، في **بُعْده المستحيل** بالتالي.

وللإقتراب من معقل هذه العنقاء التي كانت قاسمًا مشتركًا أعظم لكل متون العالم القديم الكبرى والتي نسميها بلغتنا اليومية المتواضعة **حقيقةً** فلا بدّ أن نعود إلى رحاب هذه اللغة في بداية رحلتها، علّها تعيننا على فكّ طلسم العنقاء عملاً بوصية الحكيم هيراقليط.

وعلّ أوّل ما يجمع بين متون الشرق والغرب هذه **مبدأ الرحيل**. والرحيل يقينًا في لغة الأدب الملحمي ليس رحيلاً في المكان والزمان كما قد يبدو، ولكنه **رحيل باطني**. أي أن العبور إلى العالم السفلي ما هو إلاّ عبور إلى العمق الروحي، أي إلى **مجاهل الوعي الباطني** في الأساس. أي أن العقل القديم يريد أن ينقل لنا رسالة تقول أن السبيل إلى الحقيقة محفوف بالأهوال، لأنه يمرّ عبر **جحيم المعرفة** المتمثّلة في كل رحلة تأملية باطنية. ولكن لا سبيل إلى نيل هذه العنقاء (الحقيقة) دون الإيفاء بشرط الارتحال. لأن بهذا الشرط فقط يتم تحقيق الشرط الثاني المتمثّل في بلوغ مجاهل العالم السفلي كاستعارة للنفاذ إلى **العمق الروحي** إذا ترجمناه إلى لغة المجاز. في هذا البُعْد فقط يمكن الفوز **بالقيمة**، **بالكنز**، بالعنقاء المسماة في لغة الأجيال **حقيقة**.

فما هي هذه العنقاء؟ ما هي الحقيقة؟

لقد تنصَّل حتّى الأنبياء من الإجابة على هذا السؤال. وجواب المسيح عليه السلام على السؤال بقوله: «حقيقتي ليست من هذا العالم» لم يكن جوابًا على سؤال الامبراطور بيلاطوس: «ما هي الحقيقة؟» بقدر ما هو فرار عبقري من الجواب على السؤال لن يسمح به لنفسه إلاّ نبيّ حقًّا.

ولكن وصيّة الأقدمين تجيبنا على السؤال المميت بلغة أبسط مما نظنّ. فسفر التكوين ينبئنا بأنَّ سرّ عنقائنا يكمن في شجرة التحريم التي تتستّر على طلسم يصلح سرًّا لرحلة الوجود حقًّا هو المعرفة (معرفة الخير والشرّ).

وكما تتحدّث أسفار العهد القديم عن سرّ الشجرة بلغة لا تخلو من عنصر تغميض ألفناه عند هيراقليط، كذلك تحدّثنا الديانة الإسلامية عن **سدرة المنتهى** بلغة ملفوفة بمزيد من الغموض. ولو عدنا إلى تراث السومريين الديني لوجدنا أن ملحمة جلجامش إنما تتحدث عن شجرة أيضًا. بل عن شجرتين تخفي إحداهما ثانيتهما، أو بالأصح يشترط نَيْلِ ثانيتهما إزالة أولاهما بنفس الأسلوب الذي تستوجب فيه الأساطير قتل الغول الذي يقف حارسًا على الكنز في سبيل الاستيلاء على الغنيمة المتمثلة في الكنز سواء بنصل السيف كما هو حال تسيوس في صراعه مع «ميناتاور»، أو بفكّ طلسم الأحجية كما هو حال أوديب مع غول طيبة.

أي أن الشجرة التي اعترضت سبيل جلجامش في طريقه الى نيل **عشبة الحقيقة** إنما كانت تؤدي ذات الدور الذي يؤديه الأفعوان

أو مختلف أنواع الغيلان الذين نجدهم في كل الأساطير يقفون حجّابًا على الكنوز. وكان على جلجامش أن **يجتثّها** كي ينفذ إلى الأعماق، إلى مجاهل العالم السفلي، حيث تحتجب **عشبة الخلود**. وهو **اجتثاث** لا يمكن أن يعني في لغة الديانات إلاّ **استباحة الحرم**، وانتهاك الطلسم المجهول. وهو انتهاك يستوجب القصاص في كل الأحوال. وهذا ما حدث لجلجامش في طريق العودة من رحلته الخائبة عندما اعترضته الحيَّة لتختلس من بين يديه **عشبة الخلاص**.

وإذا كانت الحيَّة في ملحمة جلجامش هي التي أنزلت بالبطل الشقي حكم القصاص، فإننا نجد أن الحيَّة ذاتها هي التي قامت بدور المحرّض على انتهاك الحرم في سفر التكوين عندما أغوت قرينة آدم بالتقام الفاكهة الحرام. أي أنَّ الحيَّة، كأحيل مخلوقات البريّة، كما يصفها سفر التكوين، كانت في كلا الحالين **الوصيّ على الكنز**، على **عنقاء الحقيقة**، من ناحية، كما كانت في كلا الحالين أيضًا **قدر القصاص** الذي **أعاد** الإنسان إلى مصير المنفى في حال جلجامش، **ودفع** بالإنسان إلى مصير المنفى في حال آدم سفر التكوين.

والمثير حقًّا هو المدلول الكامن في هويّة **السدر** كلفظة لغوية ذات مدلول عالمي إذا ترجمناها من لغة البدايات. فالسين في اللسان البدئي الذي ما زال يجري في لغة الطوارق إلى اليوم تعني من ضمن ما تعني: «جوهر»، أو «**فحوى**»، أو «**إنسان**» أو «**نار**»، أو «شحنة» من أي نوع. وهي ذات المعاني التي تعنيها في لغة بدئية أخرى هي المصرية القديمة تمامًا. أمّا «در» فتعني: «**الحياة**». وكلمة سدر كبُنْية تركيبية تعني: «**جوهر الحياة**».

ولمّا كنا نعلم أن كلمة سدر العربية هي ذاتها كلمة Keder أو Ceder المستخدمة في اللغات الأوروبية (كإبدال شائع بين الكاف والسين) فإن **الهوية الميتافيزيقية** للأشجار الثلاثة (شجرة جلجامش، وشجرة التكوين، وسدرة المنتهى) سوف تتخذ ملامح أوضح، سيّما إذا استعدنا في الأذهان كلمة **قدر** العربية كرديف لكلمة **سدر** (القاف مرة أخرى إبدال شائع من السين)، وكلمة «شجر» ذاتها قرينة لكلمة «سدر» لو أخضعناها لناموس الإبدال الذي يجعل من الشين سينًا والجيم دالاً لنستنتج أن الشجر الذي استقلعه جلجامش في سبيل نيل حقيقته لم يكن في نهاية المطاف سوى **قدره** (قدر = سدر). أي أنه **أمات** نفسه من حيث أراد أن يحييها، **وأضاع** حقيقته من حيث أراد أن يجدها، تمامًا كما **أمات** آدم التكوين نفسه بالاعتداء على حرمة شجرة الحرام من حيث أراد أن **يحييها، وأضاع** نفسه من حيث أراد أن **يجدها**. بذات الطريقة أيضًا التي استطاعت بها عبقرية أوليس أن تسترد بحصان طروادة عنقاء اسمها «هيلين» أو ظلّ هيلين بالأصح. ولكن أوليس الذي استردَّ بدهائه الكنز المفقود ما لبث أن اغترب غربة **أضاع** فيها نفسه، وكان عليه أن يعبر البحور، ويصارع الغيلان والأهوال، ويهبط جحيم العالم السفلي، ويجالس الأموات، ويختلس منه الزمان كنز العمر، قبل أن يلين قلب **القدر** ليرمي به إلى شطوط «إيتاكا» من جديد دون أن تنسيه أهوال الرحلة السفلية الوصيّة القاسية التي سمعها من صديقه «أخيل» في عالم الموتى عندما قال له أن خادمًا في مملكة الدنيا أفضل من ملك على مملكة الموتى. وهي ذات الوصية التي نسمعها من كاهنة الأجيال «**سدرا**»

(لاحظوا معي اقتران اسم الكاهنة في ملحمة جلجامش باسم **السدر** كشجرة من ناحية، و**كقدر** من ناحية أخرى) عندما هرعت للقاء البطل بعد عودته من رحلته الخائبة لتعزّيه في محنته ولتحذّره من شقاوة البحث قائلة:

«تمتّع، يا جلجامش، بمداعبة امرأتك، وتلذّذ بمياه حمّامك، لأن هذه هي دنياك كلّها»!

وهي وصيّة لن تختلف في مضمونها عن وصيّة حكيم «الجامعة» في أخطر أسفار العهد القديم على الإطلاق في الختام الذي يقول: «إتّق الله، واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كلّه».

طرابلس ـ ليبيا

(نوفمبر) 2003 م

الإبداع كرسالة خلاص
والإبداع كرسالة قصاص(*)

«مجرد استخفاء الحقيقة عنّا هو إمّا إمتحان لتسليمنا، أو تدمير لاستكبارنا».

«القديس أوغسطين»

سادة الإبداع الأعزاء.

هل يجب أن نقول مع من قال أن الأكذوبة قديمة قِدَم الشيطان، وعلى من يريد أن يدرك حقيقتها أن يشيخ شيخوخة الشيطان؟ أم علينا أن نقول أن الحقيقة قديمة قِدَم الربوبية، وعلينا أن نبدع كي ندرك حقيقتها؟

هذه ليست أحجية في ميتافيزيقا الزمان بقدر ما هو استفهام عن رسالة المبدع كرسول حقيقة.

فالمبدع الذي يرى في الحقيقة رسالة خلاص، لا بد أن

(*) كلمة المؤلف نيابةً عن الوفود العربية المشاركة في مؤتمر القاهرة الثاني للرواية. اكتوبر 2003م.

يكتشف في الحقيقة رسالة قصاص أيضًا. لأنه إنْ عرف هذه الحقيقة في الصباح، فلن يخسر نفسه إذا مات في المساء، كما يروق لكونفشيوس أن يعلّم. لماذا؟

لأن الحقيقة هبة جدليَّة مثلها مثل الإله يانوس بوجهه المزدوج: ظاهره خلاص، وباطنه قصاص ككلّ قيمة حقيقية في هذا الوجود.

هنا تكمن أمثولة شهرزاد التي اختارت أن تروي، لا لتحيا كما يحسب الكثيرون، ولكن لتستبدل حكم الإعدام بتجربة السجن المؤبد. لأن الإعدام خلاص بالمفهوم السلبي الذي لا يرى خلاصًا للانسان أفضل من أن يموت، ولكن الرواية تجربة قصاص بكل المقاييس. لأننا بالإعدام نموت مرة، ولكن بالرواية كممارسة ميتافيزيقية لا نموت في اليوم ألف مرَّة فحسب، لكننا نبعث الى الدنيا في كل مرَّة. وهو بعث رأت فيه ديانات الهند القديمة قصاصًا أسوأ إلى حدّ جعلته قَدَرَ أرذل أشرار هذه الدنيا.

ولهذا فإن الروائي مخلوق شقي بالسليقة لأنه سجين بالطبيعة. سجين برغم أنه ضحيّة حقيقية. لأن الأقسى من الحقيقة التي يطلبها بدمه هو تلك الحقيقة التي ينالها بإبداعه. لماذا؟ لأن الحقيقة التي ننالها لا بدّ أن تنالنا أيضًا. لهذا السبب فرّ كل أهل النبوءة من قدر النبوءة. لهذا السبب تذرّع موسى بلجلجة اللسان كي يتنصّل من وزر النبوءة. ولهذا السبب فرَّ يونان (أويونس) من نينوى ليجد نفسه معتقلاً بيد الرّب في بطن الحوت. لهذا السبب هرع محمد إلى خديجة مرددًا: «دثِّريني! دثِّريني!» في أول تجربة مع الملك جبريل.

لهذا السبب يفرّ أهل دنيانا اليوم من الحكمة لأنَّ حَدَسَهم الذي يرى فيها خطرًا على حياتهم لا يخونهم. لهذا السبب يفرّ حتى الأطفال من المدارس لأنهم إنما يفرّون بالحدس من القصاص الذي ينتظرهم في المعرفة، في الخطيئة، في النبوءة، في الحقيقة.

إنها تلك التجربة التي لخَّصها همنجواي على لسان الشيخ سانتياغو عندما سأله أحدهم بعد عودته الخائبة من رحلة البحر: «من هزمك أيها الشيخ؟» فأجاب: «لا أحد. كل ما هنالك أني توغَّلت في البحر أكثر ممَّا ينبغي». فما معنى أمثولة أن نتوغَّل في البحر أكثر مما ينبغي؟ أن نتوغَّل في البحر أكثر مما ينبغي أما أن نولد للمرة الثانية حسب رؤية القديس بولس، إمَّا أن نغترب اغتراب أوليس. بل أن نغترب غربة الأنبياء الذين حاولوا أن يرفضوا النبوءة كي لا يغتربوا لا تشبّثًا بسعادة الدنيا، ولكن رهبةً لقساوة الجمال المستخفي في كلٍّ حقيقة.

وجسامة القربان الناجم عن التوغّل في البحر ليست في الخوف من الأهوال، ليست في الخوف من أسماك القرش التي تنتهب منّا غنيمة رحلتنا، ولكن في الخوف من الحرية.

الحرية إذن للحقيقة قرين آخر. الحرية للحقيقة قرين يأتي في رأس القائمة. والحرية في ناموس المبدع غنيمة تراجيدية دائمًا مثلها في ذلك مثل العلاقة المعقَّدة مع امرأة نعشقها: لا نستطيع أن نحيا بجوارها، كما لا نستطيع أن نحيا بعيدًا عنها. الحرية، أيها الأعزَّاء، هي قَدَرَنا الذي به نحيا برغم أنه يميتنا. الحرية معشوقتنا التي تنكّل

بنا، ولكنّا نتلذّذ بأجناس تنكيلها لأنها إذْ تصادرنا من تجربة وجودنا الدنيوي إنما تصنع لنا فردوسًا في مملكة المثال. الحرية هي التي علّمت الأجيال حقيقة أنّنا لا نملك حقًّا إلاّ أفكارنا، كما لا نفقد حقًّا إلاّ ما نملك. بهذا تحقّق لنا الحرية سعادة من طينة أخرى. لأن الحياة في مملكة المثال سيرة تأمّلية. والتأمل رحلة دينيّة شئنا أم أبينا. لأن الإنسان الدَّيِّن ليس سوى الإنسان المتأمِّل كما يعلّم هيغل. والإبداع المغسول بأنفاس الحقيقة، الإبداع المجبول بالحرية القصوى هو ضرْبٌ من إيمان. بل ضرْبٌ من دِين. والبرهان في أننا لم نرث ديانات العالم القديم إلاّ في نصوص إبداع: ديانة قدماء المصريين من ابتهالات «برت أم هرو» المسمّى «كتاب الموتى» اصطلاحًا. وديانة السومريين من ملحمة «جلجامش». وديانة أهل اليونان من ملحمتي «الألياذة» و«الأوديسة».

في النهاية لا نملك إلاّ نرفع أصواتنا بالنداء: «دع الموتى يدفنون موتاهم» قبل أن نحمل على ظهورنا صليب حقيقتنا ونمضي إلى يومٍ تقضي فيه الأقدار أمرًا كان مفعولاً.

أهل الإبداع الأعزّاء.

إذا بلغ صاحب الوصيّة شطوط «إيتاكا» في رحلته الأوديسية، وصار صاحب حقيقة، فهذا لن يعني سجنًا في برج أو معقلاً في صومعة، أو انطواءً في قوقعة كما قد يروّج أهل الباطل. لأن المبدع وإن اعتزل العالم فهو لا يعتزل هربًا من النّاس، ولا من آلام الناس، ولكنه يعتزل رحمةً بالناس. يعتزل ليحتضن همّ الناس سواء

أكانوا من ذوي قربى، أو كانوا من ذوي غربة. لأنَّه لا يشفق على قدر الإنسان في هذا الوجود إلاَّ من عرف حقيقة هذا الوجود. ولهذا فهو لا يكتفي بالتعاطف معهم جهارًا أو التنازل عن عزلته ليقاتل أعداء الحياة إلى جوارهم، ولكنّه يتمثَّل أوجاعهم ليجعلها في متونه شجنًا. يبدعها حنينًا فيهب بذلك آلامهم قيمةً خالدة. لأن مَن وَهَبَ قلبه للعالم وحده يستطيع أن يستجيب لوجع طفل بكى في الفليبين، فكيف بطفل يموت في فلسطين؟ أو طفلة تُسْتباح في العراق؟ لأن المبدع نفسه ليس سوى ذلك الطفل الذي يعلَم أن العالم كلّه لا يستطيع أن يفتدي دمعة طفل، كما تنبّأ الحكيم دوستويفسكي على لسان أيفان كرامازوف.

أعزائي الأجلاّء.

ها نحن نلتقي في ربوع الرائدة مصر للمرّة الثانية بعد مرور ست سنوات تقريبًا اقتطعها الزمان من أعمارنا القصيرة. وكان بالأمكان أن نكون أسعد حالاً باللقاء الثاني لو لم يغيّب هذا الزمان منّا رفاق طريق جلسوا بالأمس إلى جوارنا في هذه المقاعد، وتركوها لنا اليوم أفواهًا خاوية. وإحساسنا بالمرارة لن يكون سببه شعورنا بأنَّ الدور سيأتي يومًا ليغيّبنا أيضًا فنترك مقاعدنا شاغرة وراءنا. ولكن المرارة في أننا لا نستطيع أن نستردّهم من منفاهم الأبدي إلاَّ باستحضارهم بالذاكرة. هذه الأعجوبة التي علّمنا القدّيس أوغسطين أنَّها الهبة الوحيدة التي نستطيع أن نستخدمها لنقتصّ لأنفسنا من الزمان الذي لا يرحم أحدًا.

أيها الأعزاء.

في النهاية لا يفوتني إلاّ أن أنحني إكبارًا لمصر سهلاً وأهلاً. هؤلاء الأهل الذين احتضنونا في قلوبهم قبل أن يحتضنونا في ديارهم. وهو سخاء حملته هذه الأرض الثرية حتى في أسمائها الغنية بالدلالات منذ عهود ما قبل التاريخ:

1 ـ فمصرايم، كما ترد في أسفار العهد القديم، أو مصر كما ترد في آيات القرآن الكريم، ما هي إلاّ «مزر» التي تعني في لغة البدايات «الرائدة» أو «السابقة» أو «الأصل».

2 ـ و«تانكمت» أو «كَمَت» (بإسقاط التاء والنون كعلامتي ملكية) إنما تعني بلغة البدايات «اللقية»، أو «الكنز»، أو «اللّغز» إيماءً لحقيقتها البدْئية. وهي بُنية لغوية قد تعني أيضًا «سرّ الطبيعة».

3 ـ و«يويوي» إنما تعني «المترامية» أو «الشاسعة» أو «السائدة» (سيادة الروح على الجسد لا العكس).

4 ـ ثم «إجبت» الدالة في لسان القدماء على: «القطْع» أو «البتْر»، تيمّنًا بالمكان الذي قصّت فيه إيزيس شعرها حزنًا على حميمها أوزوريس (حسب رواية بلوتارخ للأسطورة).

أرضٌ حملت هذه الذخيرة من الدلالات الأخلاقية والروحية والميتافيزيقية في سيماء أسمائها ليس غريبًا أن تكون مهد المبادىء الأخلاقية، وأرجوحة الديانة الحقيقية النّابعة من المسلك الأخلاقي بالذات، فسبقت بذلك نظرية «كانت» في الأخلاق التي ترى أن الصلاة الحقيقية في المسلك الأخلاقي، وأما صلاة الشعيرة فهي مجرّد أمنية موجّهة إلى الرّبّ.

فكيف لا تنجب هذه الأرض السخيّة حكيمًا مثل نجيب محفوظ؟ وكيف لا تتبوّأ الرواية العربية مكانتها العالمية إذا كان هذا الناسك القدِّيس هو مَنْ اشترى لها هذه المكانة لا ببهجة دنيويّة كجائزة نوبل، ولكن بزهد المعتزلة الذين لم تَصِر لهم الحقيقة يقينًا إلاَّ لعلّة تحديقهم الطويل في مجاهل الأبديّة؟

غولديفيل (الألب السويسري)

أكتوبر 2003 م

رسالة القصاص ورسالة الخلاص

[1]

الكتاب، في اللغة البدْئية، يحمل إسمًا مزدوجًا ضدّي المعنى هو: «تورا»، أو «تيرا» التي تعني: «يفتح»، أو «يكشف»، من جانب، كما تعني «يحجب» أو «يحصّن» من جانب ثانٍ. أي أنَّ اللسان البدْئي يريد أن يقول أنَّ سرّ كلّ أمر في نقيضه، لأننا لا نستطيع أن نتحصّن من قصاص الألوهة إن لم نعتصم بحرَم الألوهة. من هنا انطلق مفهوم الحجاب أو التميمة في اللسان البدئي المسمّاة «تورا» أو «تيرا» (وهي دائمًا في صيغة الجمع). من كلمة «تورا» هذه استعار العبرانيون إسم «تورا» (أو توراة) للتعبير عن مجموع أسفارهم المقدّسة. وهو ما يعني باللغة البدْئية حرفيًا «التمائم المخفيّة». وهو تعبير اكتسب بُعْده الدينيّ على ما يبدو من جدل مبدأ الإبداء، في علاقته بمبدأ الإخفاء، الكامنين في كلمة «تورا» المزدوجة. وهو دهاءٌ نجد له نظيرًا في اللغة المصرية القديمة التي تطلق إسم «هيروغليف» على الكتابة المقدّسة التي كانت حكرًا على الكهنة كرجال دين. وهي تركيب لغوي مستعار من اللسان البدْئي أيضًا مكوَّن من «هور» الدالّة على «الحماية» أو «الحصانة»، ومن «غلف» الدّال على «الوصيّة»، ليصير التعبير: «الوصايا

الحصنية»، أو «المتون المكنونة»، أو «التمائم الخفيّة»، أو «الكتابة الإلهيّة» على حدّ سواء، مما يقطع بأن الحاجة الأصلية الى الحماية، الظمأ الوجودي إلى الأمان، هو المبدأ الذي أسّس لابتداع الكتابة. فالإنسان الذي وجد نفسه أعزلاً ، مهجورًا، وحيدًا، منذ مغامرة الوعي الأولى، لا بدّ أن يستشعر الحاجة إلى مبدأ أعلى، الحاجة الى ما نسميه اليوم دينًا، طمعًا منه في نيل العزاء الروحي، وحنينًا لاستعادة توازنه الوجودي. وبسبب هذه اللهفة إلى الله ابتدع الإنسان أول ما ابتدع الغناء كسلاح أعزل من سلطان المكان، ولا وجود له إلاّ في ملحمة الزمان، فكان اللحن ترنيمة ألوهية استعارت أعجوبة التحرّر من المكان من هويّتها الربوبية الأصلية، أساسًا، على ما يبدو.

وجد السليل الأوّل اللحن بلسمًا للروح، وترياقًا للعزلة، ولكن النسيان تسلّل ليختلس منه في الرحلة اللحن، تمامًا كما اختطفت الحيّة عشبة الخلود من الشقيّ جلجامش، بل مبدأ اختلاس تميمة الخلود من الإنسان الذي نجد له صدًى في كل الديانات البدْئية، لم يكن في الواقع إلاّ استعارة تدل في معناها المجازي على لعنة النسيان التي لن نضلّ السبيل إلى مدلولها إذا استبدلناها بـ«لعنة الموت».

وإرادة قهر النسيان لا بدّ أن تدفع بسليل السبيل الى ابتداع حيلة أخرى هي التكوين الذي استطاع الانسان بموجبه أن يبثّ شجونه الحجر، فينفث روحه حفرًا على الصلد، ليصنع من جدرانه أول كتاب عرفته الأجيال.

[2]

صار الحجر حَرَمًا منذ ذلك اليوم، لا بسبب قوّة الكيان القادرة أكثر من سواها على معاركة الزمان، ولكن لأن الحجر كان أول «لوح محفوظ» استطاع أن يحصّن وصية الروح ويصونها من التلف. وهكذا صارت الوصيّة مثالاً، لأنها كانت الدليل على وجود الانسان. صارت الوصية كيانًا لأنها احتضنت نزيف الروح، فهزمت بهذه الأعجوبة سلطان الزمان.

اكتشف العابر أخيرًا أن الزمان بعبع لا يُقهر بالجسد، لا يُقهر بالكيان، ولكنه يُهزم بالروح. والروح سرّ لا سلطان له على الدنيا إن لم ينل في الوجود كيانًا. وكيان الروح ليس البدن الفاني، ولكنه الوصيّة المبثوثة روحًا في الرسالة. والرسالة ليست لجلجةً بعضلة اللسان، ولكنها النزيف الصامت الذي يحتفر في قرطاس الزمان وصاياه التي لا تنقلب خلودًا إلاً لأنها نزيف روح، لا نزيف جسد.

[3]

وعلّه من المثير أن نجد اشتقاق كلمة «تورا» وقد اجتاح جلّ اللغات الحيَّة كنعت لمفهومٍ لم يعرف فيه عقلنا الدنيوي اليوم أي بُعْد ميتافيزيقي كما نحته فيه العقل البدْئي بنزعته الطقسية عندما ألصقه بمعنى «الباب». ذلك أن «الباب» وحده يحتمل عبء الدلالة الضدّية. فهو مفهوم «حجب» إذا أُغلق، وهو أيضًا مفهوم «كشف» إذا فُتح. وهو في كلا الحالين «تميمة» سواء بالحجب وسواء بالكشف. ولهذا لا يجب أن نستنكر رحلته عبر الألسن على مرّ الأجيال. ففي اليونانية القديمة نجده «تيرا» أو «تورا» أي باستعارة

لفظية حرفية من اللسان البذْئي الذي ما زال يجري على لسان الطوارق إلى اليوم. كما نجده في الألمانية في «Tur» الدّالّة على الباب، أو «Tor» الدّالة على البوابة. وهو أيضًا في الانجليزية «door» بإبدال شائع بين الدال والتاء. وقد استعارته اللغات السلافية أيضًا. ففي الروسية تنطق «dver» وفي البولونية «dvi». وقد عَبَرت اللفظة المسافات، كما اختزلت بأنفاسها الثقافات، فبلغت أرض السّند لتطالعنا في السنسكريتية في «dhor».

ولكن أيّ سرّ يكمن في لفظة «ثور» التي يطلقها اللسان العربي على ذَكَر البقر؟ وما علاقتها بلفظة «تورا» البذْئية؟

السرّ يكمن قطعًا في المفهوم. السرّ يكمن في دلالة كلمة «تورا» كـ«تميمة» أو «حفيظة» أو «حصن». أي البُعْد الديني في نحت المفاهيم الذي نسميه بلغة اليوم «قداسة». هذه القداسة التي تدل عليها التميمة هو القاسم المشترك الأعظم الذي يجمع «الباب»، و«الكتاب»، و«الثور» كحيوان مقدّس عبَدَه القدماء من الصحراء الكبرى إلى مصر القديمة، إلى سومر، إلى أهل الجزيرة العربية، ليكتسب بدوره مفهوم القداسة عن جدارة.

[4]

وثراء اللغة البذْئية على شحّها يمضي بنا شوطًا أبعد. فالباب الذي يطلق عليه لسان الطوارق إسم «تاهورت» إنما يستعير جذوره من «تورا» أيضًا. فإذا أسقطنا تاء التأنيث في بداية الكلمة، وتاء التأنيث الأخيرة، حصلنا على لفظة «هور» التي تغني بذات اللغة «يحرس»، أو «يحمي». وهو دلالة نجدها بذات المعنى في اللغة

المصرية القديمة في إسم «هور» كإله يحمي السماء ويرمز له بالصقر. وقد ورثناه عن اليونانية كـ«حورس» (السين في الكلمة إضافة يونانية دالَّة على إسم العلم، والحاء قراءة ساميّة للهاء الحامية). أي أن «هور» تميمة سماء، ولذلك يمثلها الصقر كأقوى مخلوق يرتاد السماء. كما يطلق اللسان البذْئي إسم «هور» أيضًا على الأسد كرمز لأقوى قوّة أرضية لينال اسم «التميمة» أيضًا من خلال مفهوم «الحماية» أو «الحصن» أو «الحفظ» الذي يمثله الباب في الأصل. من «هور» هذه انبثق اسم «هر» أو «هرو» إله الآلهة في الديانة المصرية القديمة.

و«تورا» كرديف لـ«هور» إسمان مشتقان كلاهما من إسم أكثر ابتسارًا هو «إور»، لأن التاء في «تورا» ما هي إلاّ تاء تأنيث في ناموس اللسان البذْئي، والهاء في «هور» إنما تعني «بيت» في اللسانين البذْئي وكذلك في اللسان المصري القديم. أمّا الأصل في الكلمة فهو «إور» فقط الدّالة على «السمو»، أو «العلو»، أو «كمال الفعل». وهي بهذا رديف لكلمة «إون» الدّالة في كل لغات العالم القديم على ذات المعنى كما في المصرية واليونانية والسومرية والعربية القديمة، أي «العلو» أو «سكون الفعل» أو كماله أي الفعل الماضي كما يسمّيه نحاة اللغة. ولهذا نجد أن كلمة «إور» وكذلك كلمة «أون» إنما تعنيان من ضمن ما تعنيان: «مدينة» أو «تكوين»، أو «سكون» في هذه اللغات كلها، وهي مضامين مستعارة كلها من مفهوم «التميمة»، البذْئي. والعمران أيضًا تميمة حامية لمن تحصّن بها سواء أكانت بيتًا أم معبدًا أم ضريحًا.

[5]

وإذا كانت «تيرا» (أو «تورا») تعني التميمة المخفيَّة في حجاب أيّ المكتوبة، فإن كلمة «تيتّار» المستعارة من ذات الجذر، إنما تعني التميمة المنطوقة. وهي من الثراء بحيث يدهشنا استخدامها في لغات العالم القديم. من ذلك مصطلح «نوتر» الذي حيَّر معناه علماء المصريات زمنًا طويلاً والملحق بالأعلام المثلّثة التسعة كمدلول مجسّم للكلمة. ولو أُوتي علماء المصريات من علم اللغة البدْئية نصيبًا لعلموا أن النون في «نوتر» ما هي إلاّ أداة ملكية استُخدمت في اللغة المصرية القديمة، وما زالت تُستخدم في لغة الطوارق، وفقدتها اللغة العربية كما يؤكد بعض العلماء. أمّا حرفي التاء والراء (تر) فإنما يدلاًن على «الدعاء»، أو «الاستدعاء» لقوى الخفاء، أو «الابتهال» ذي البُعْد القُدُسي. أي أن الكلمة تعني: «ذو القداسة»، أو بمعنى آخر: «الألوهة» كما تطلق عليها ألسنة اليوم. من هذه اللفظة استعارت اللغة اللاتينية كلمة «Natur» (الطبيعة) لنزعة العقل البدْئي في تقديس هذه الكلمة. وإذا استطردنا في هذا السبيل فلا يجب أن نندهش إذا اكتشفنا أن كلمة «Teatre» الدالة على المسرح إنما هي رديف فعلي لكلمة «تيتار» لا في حروفه فحسب، ولكن في مدلوله أيضًا. . فقد ورثنا في المسرح اليوناني القديم، سيما في نصوص اسخيلوس وسوفوكليس، تقليدًا يصلح برهانًا على وحدة المدلول. ففي كل مسرحية تقريبًا نجد تلك الأصوات التي تردد من وراء الكواليس أبياتًا محدّدة تعقّب على أحداث الخشبة، وتلعب دور صوت القدر التلقيني أو وصية المشيئة الإلهية. ولمّا كان

المسرح أساسًا ابتهالاً موجّهًا إلى الخفاء، أو تمائم مرتجلة، فإننا لن نشكّ في المنشأ الديني لهذا الفنّ كما تدلّ عليه كلمة «تيتار» (ttr).

من «تيرا» كتميمة أصلية استمدّت كلمة «ترا» أيضًا الدالة في اللغة البذْئية على «المحبّة». وهو تعبير عبقري نجد له مبررًا إذا علمنا أن لا تميمة في دنيانا تستطيع أن تفتح لنا قلوب الخلْق مثل المحبّة.

[6]

أمّا كلمة «كتب» العربية فتعني بلغة البدء التي ما تزال تجري على لسان الطوارق إلى اليوم «لوح خشبي مستطيل يثبّت على ظهر البعير بمثابة سرج». وهو اللّوح الذي يُطلق عليه في العربية القديمة إسم «قتب» (بإبدال معهود بين حرفي القاف والكاف). ولا أحسب أن مدلول كلمة «كتب» الوارد في البدئية كلوح بحاجة إلى تعقيب أو تحليل إذا أعدنا الى الأذهان ارتباط الكتابة بالألواح الحجرية أو الخشبية على حدّ سواء منذ بداية رحلة الكتابة على الاطلاق. ولكن المثير هو المدلول الآخر، الحرفي، الكامن في تركيب كلمة «كتب» إذا شفّرناه من اللغة البدئية. فالكاف بحدّ ذاتها تعني «جذْر»، أو «أساس» أو كل ما له صلة بأمّنا الأرض. أما التاء والباء «تب» فتعنيان معًا: «يكشف»، أي «الجذر المكشوف» كناية عن لوح الخشب المسخّر للكتابة. وهذا الشقّ الثاني للكلمة المتمثّل في حرفي التاء والباء (تب) يحمل مدلولاً ثريًا نجد له صدًى في المصرية القديمة كما في العربية أيضًا. فنحن نعلم عن المصادر

المصرية أن كلمة «تب» في الهروغليفية تعني «ساحر». وإذا كنّا نعلم من المصادر أيضًا أن وظيفة الساحر المصري كانت امتهان الطب أيضًا، أي «الكشف» (لاحظوا معي كلمة كشف هنا) على المرض، فلن يُخفى علينا سرّ إطلاق لقب «تب» على السّاحر. والثراء لن يقف عند هذا الحدّ. لأن كلمة «طب» العربية نفسها ليست سوى «تب» البدئية التي استعارت منها المصرية القديمة نعت «الساحر». فالطاء في «طب» هي إبدال شائع من التاء في «تب». واستخدام تعبير «الطبيب يكشف على المريض» المتداول في العربية مستعار حرفيًّا من كلمة «تب» البدْئية الطارقية الدّالة على مبدأ «الكشف». ومن كلمة «تب» هذه، أو «طب» كما نطقها اللسان العربي، انبثقت كلمة «طبع» (لأن العين العربية ما هي إلاّ إبدال من الهمزة، والهمزة حرف علّة غير معترف به في علم التحليل اللغوي). من «طبع» انبثقت كلمة «طبيعة» أيضًا. والطبيعة كما نعلم مبدأ خفي لا يهبنا سرّه إذا لم نستنطقه. واستنطاق الطبيعة الخافية هو «الاستكشاف» في بُعْده المبدئي. من هنا تكتسب الاستعارة العربية لكلمة «تب» البدئية هويّتها الشرعية.

ولكن ماذا يطلق اللسان البدئي على فعل الكتابة ذاته؟

[7]

يقول اللسان العربي عن فعل الكتابة: «حرّر فلان رسالة إلى فلان». وهو تعبير مجازي رفيع في شعريته وروحه الاستعارية. وهي روح مستعارة أيضًا من روح اللسان البدئي. فالطوارق يقولون

عندما يتحدّثون عن التحرير: «درف». وهو التحرير بمعنييه، أي تحرير رسالة، أو تحرير إنسان من أصفاد العبودية. ولهذا يطلقون إلى اليوم على الطبقة التي تلي الأتباع في السلّم الطبقي اسم «درفن» (جمع درف)، أي «المحرّرون» أو «المعتوقون». وقدماء المصريين يطلقون إسم «درف» أيضًا على «التحرير» بمعنييه. وإذا كان اشتراك لغة الطوارق والمصرية القديمة في نحت مفهوم للكتابة من خلال مبدأ «التحرير» الدّال على إطلاق سراح الأفكار المخفية في مملكة الروح وطرحها على الملأ في لوح معلن، ليس أمرًا غريبًا، فإن اطلاق العربية اسم «حرّر» على فعل الكتابة أمرٌ لا يخلو من دهاء اعتدنا حيله في لغة الأسحار التي تسمّي الأشياء بضدّها يقينًا منها بأن حقيقة كل شيء في نقيضه. فلو حلّلنا كلمة «حرّر» العربية باللسان البدئي لوجدنا أنها تعني: «الإخفاء» لا الكشف. ستر الأفكار لا التصريح بالأفكار (لأنَّ الحاء السامية ما هي إلاَّ إبدال من الهاء الحامية، والفعل هو «هرر» وهو ما يعني «يغلق» أو «يخفي» في لسان الطوارق إلى اليوم مع تكرار حرف الراء). فهل الكتابة تجربة إبداء كما رآها العقل البدْئي في لساني الطوارق ومصر القديمة من خلال فعل «درف» أم الكتابة تجربة إخفاء كما جرت على اللسان العربي في «حرّر»؟[1].

الحقيقة أن الكتابة إبداء وإخفاء. الكتابة إبداء كتعبير عن تجربة وجودية تتجلَّى في الخطاب. الكتابة فعل إبداء كتجربة اغتراب

(1) من «درف» (حرّر) البدْئية انبثقت (Draft) (مسودّة) في الانجليزية.

روحي، كفعل دنيوي له وجود في حدود المكان والزمان؛ أي كلغة نتكلّمها ولا تتكلّمنا. ولكن تنقلب الآية عندما يتعلّق الأمر بالفعل الكتابي في بُعْده الميتافيزيقي، في بُعْده التأمّلي؛ لأنَّ اللغة عندها تكفّ عن أن تكون لغة مكان وزمان، تكفّ عن كينونتها كقيمة وقتيّة لتصير في البُعْد المطلق لغة الأبديّ. تصبح لغة أخرى من ذلك الجنس الذي يقول عنه مارتن هايدغر أنّه يتكلّمنا ولا نتكلّمه.

[8]

الفعل الكتابي إذن كالمحبّة، في الأصل، تميمة مثلها مثل أي ممارسة طقسية كما عالجتها عبقرية العقل البدْئي في مختلف الألسن التي تناولناها. وكمجموع تمائم فإن الكتاب ناموس مقدّس تندسّ في خفاياه الوصايا الدينية كما ورثناها من أبناء القبيلة البدْئية قبل أن تتشتّت وترمي بها الهجرات إلى أوطان البُعْد في الدياسبورا البدْئية الكبرى التي سبقت كل دياسبورا.

ولهذا السبب فإن العقل القديم يرى في الفعل الكتابي كتجربة ميتافيزيقية حُصْنًا لا يكتفي بأن يجيرنا من بطش الوجود الدنيوي، ولكنه فعل قادر على أن يجيرنا من المصير الأسوأ من كلّ مصير كما تخيّله الروح البدْئية: مصير الفناء؛ وذلك ليقين هذا العقل بأنّنا لا نموت يوم تموت أجسادنا، ولكنّا نموت حقًّا يوم تموت أفكارنا.

[9]

بالدنيا ـ نحن أموات حتى لو عشنا.

بالكتاب ـ نحن أحياء حتى لو مُتنا.

[10]

الكتاب مظهر، ولكنه المظهر الذي لا يخون جوهره.

[10ب]

يجب أن نحترس من دسّ الأفكار الرديئة في بطون الكُتب، لا لأنَّ الأجيال سوف ترثها، ولكن لأن الأجيال سوف تصدّقها.

[11]

كلام الخلْق ـ لغوٌ.

كلام الكتاب ـ لغةٌ.

[12]

الكتاب حميم الحكيم، ولكن الكتاب للمرأة غريم.

[13]

الكتب ـ كنوز يستخدمها الحكماء، ويتباهى بامتلاكها البلهاء.

[14]

الكتاب ـ رسول حقيقة.

الحقيقة ـ رسالة الكتاب.

[15]

الكتاب ـ رسالة خلاص.

الكتاب ـ رسالة قصاص.

[16]

يعسر أن يكون الكتاب رسالة خلاص، إن لم يكن الكتاب رسالة قصاص.

[17]

الكتاب ـ رسول خلاص بالحَجْب.

الكتاب ـ رسول قصاص بالكشف.

[18]

بالدنيا ـ يعبرنا الزمان.

بالكتاب ـ نعبر الزمان.

[19]

سقراط ـ وصيّة.

أفلاطون ـ كتابها.

[20]

لولا وجود كتاب إسمه أفلاطون، لما عرفنا وصيّة إسمها سقراط.

[21]

جمال مظهر الحسناء يشفع لخواء جوهر الحسناء، ولكن جمال مظهر الكتاب لا يشفع لخواء جوهر الكتاب.

[22]

الكتاب ـ رسول قصاصٍ بالمعرفة.

الكتاب ـ رسول خلاصٍ بالذاكرة.

[23]

الكتاب شيخٌ، ولكنّه الشيخ الذي لا يشيخ.

[24]

الكتاب رسول لا يلقّننا الحقيقة بالمجّان.

الكتاب رسول يهبنا تلك الحقيقة التي دفعنا لها الدمع ثمنًا.

[25]

الثقة في جعجعة اللّسان ـ خيانة لناموس الكتاب.

[26]

الكتاب بيانٌ ـ حقيقته في ما أَخْفَى، لا في ما أَبْدَى.

[27]

الكتاب كالدنيا ـ نهايته أفضل من بدايته.

[28]

بالحقيقة ـ الكتاب رسالة خلاص.

بالحقيقة أيضًا ـ الكتاب رسالة قصاص.

[29]

بقاء الأفكار، وزوال أصحاب الأفكار ـ برهانٌ على خلود الروح، وفناء الجسد.

[30]

لو لم يكن الماء سليل ألوهةٍ لما أوصت به الكاهنة «سودورو» لجلجامش ليكون له بديلاً للخلود المفقود.

[31]

نحن مدينون لفلاحنا في الدنيا للأعداء أكثر من الأخلاّء.

[32]

المسرح دنيا ـ الأغلبية فيها تتفرَّج على الأقليّة.

والدنيا مسرح ـ الأقليّة فيه تتفرَّج على الأغلبيّة.

[33]

الدِّين (الإيمان) ـ دَيْن (واجب).

والدَّيْن (الواجب) ـ دِينٌ (إيمان).

[34]

النبوءة ـ وصية خلاص.

النبوءة ـ وصية قصاص.

[35]

عسير أن نشتري البيوت، لأننا نخاف أن نفقد الحرية.

عسير أن نبيع البيوت، لأننا نخاف أن ننال الحرية.

[36]

الحرية ـ فردوس من عرف الحرية.

الحرية ـ جحيم من لم يألف غير العبودية.

[37]

الإساءة التي نكيلها لآبائنا اليوم، يكيلها لنا أبناؤنا في الغد.

[38]

العزلة الروحية أقسى من العزلة الدنيوية بما لا يقاس.

[39]

عزلتنا عن الناس ـ عزلة الدنيا.

عزلتنا بين الناس ـ عزلة الروح.

[40]

مَنْ عرف أنه عرف ـ لم يعرف حتى ولو عرف.

مَنْ عرف أنه لم يعرف ـ عرف حتى لو لم يعرف.

[41]

مدهش أن الناس الذين يتكلمون بأكثر ألسنة أوربا خشونة (اللغة الألمانية) هم أكثر الناس في أوروبا لطفًا (السويسريون الألمان).

[42]

ما قاله لسان حال آدم يوم اختار أن يقطف فاكهته من شجرة المعرفة بدل شجرة الحياة: «ما نفع أن نحيا خالدين فيها أبدًا إذا كنّا لن نعرف أننا نحيا إلى الأبد؟».

[43]

من أراده الله للدنيا ـ وهبه إمرأة خير.

من أراده الله لنفسه ـ سلَّط عليه امرأة شرّ.

[44]

النُّبل سلطة، ولكن السلطة ليست نُبْلاً.

[45]

من يملك سلطانًا على الناس ليس من يحكم الناس.

من يملك سلطانًا على الناس من يخدم الناس.

[46]

النبوءة ـ جنون.

الخلوة ـ مكيدة.

[47]

الأموات وحدهم من حقّهم أن يتباهوا بالحريّة.

[48]

الأعسر من غزو العالم من فوهة مدفع ـ هو غزو العالم من ومضة عقل.

[49]

يحتفي الناس بمواهب الجسد أكثر مما يحتفون بمواهب العقل: تخرج الأمّة لاستقبال فريق الكرة الفائز في مباراة، وتتجاهل فيلسوفًا قلب بنظريّته العالم رأسًا على عقب.

[50]

الفضيلة التي نتباهى بها تنقلب بالتباهي رذيلةً.

[51]

بقدر ما تخلص المرأة عندما تعشق، بقدر ما تغدر المرأة عندما تكره.

[52]

مَنْ يخشى أن يفقد ـ لا يجب أن ينال.

مَنْ يخشى آلام الفراق ـ لا يجب أن يدبّر اللقاء.

[53]

الفرح ـ رسالة الدّينونة.

الحزن ـ رسالة الديمومة.

[54]

ليس مديحًا حقيقيًّا ذلك المديح الذي نناله من أناسٍ لا يستحقون المديح.

[55]

الدين والفن كانا في البداية أعجوبة واحدة. ولكن الأعجوبة اغتبرت عن حقيقتها يوم انفصل الفن عن دين الشعائر، وانقلب الفنّ خطابًا.

[56]

نتخلّص فنتحرّر، ننال فنُنال.

[57]

الرواية ـ رحلة استكشاف المخلوق بحثًا عن الخالق.

[58]

الرواية ـ رحلة إبداع بحثًا عن المبدع.

[59]

عندما يحدث لنا الأسوأ، يجب أن نتيقَّن أنَّ الأقدار تريد بنا الأحسن.

[60]

الأبناء الذين نفقدهم بالموت ـ أحياء حتى لو ماتوا.

والأبناء الذين نفقدهم بالعقوق ـ أموات حتى لو عاشوا.

[61]

كيف نفلح في دنيانا إذا كنّا لا نستطيع أن نجبر آذاننا على الإنصات ولا نستطيع أن نجبر ألسنتنا على الصمت؟

[62]

زمن الرخاء ـ نحن أشقياء بسبب انتظار الشقاء.

زمن الشقاء ـ نحن أشقياء بسبب يقيننا بديمومة الشقاء.

[63]

يسير أن نعتلّ، عسير أن نتعافى.

يسير أن نفقد، عسير أن نجد.

يسير أن نهلك، عسير أن نحيا.

[64]

لا وجه للزمان: لأن وجه الزمان الناس.

[65]

الزمان مبدأ ينكر نفسه، ليعرف نفسه في الأغيار الذين آلى على نفسه أن ينفيهم من ساحة قرينه المكان.

[66]

الألوهة في اللارواية. والرواية حقيقتها رجس من عمل الشيطان.

[67]

المرأة لا تخون رسالتها الخالدة: إذا لم تجعل من الفردوس جحيمًا للرجل، جعلت من الفردوس جحيمًا لنفسها.

[68]

المرأة لا تعلم أن عطرها ـ ألاّ تتعطّر.

المرأة لا تعلم أن زينتها ـ ألاّ تتزيَّن.

[69]

فضيلة الموت، أم رذيلة الموت في أنّها لا تطرق بابنا إلاّ مرَّة واحدة؟

[70]

الدهاء ليس في كيفية أن نقيم علاقة مع امرأة.

الدهاء في كيفيَّة أن ننهي علاقة مع امرأة.

[71]

الأعسر من نَيْل المرأة ـ التخلّص من المرأة.

[72]

إذا شئنا ألاّ نجانب الصّواب في الاختيار بين أمرين، فيجب أن نختار أعسرهما.

[73]

البطولة ليست في الإقبال على الدنيا، ولكنّها الإدبار عن الدنيا.

[74]

البطولة دائمًا إقبال، إلاَّ في الدنيا، فإنّها إدبار لا إقبال.

[75]

الروح الأقوى - في البدن الأكثر هزالاً.

[76]

من لا يطمع أن تسعده النساء، لا يملك إلاَّ أن يجاهر بالامتنان للنساء، لمجرّد أنّهنَّ استطعن أن يسعدن له الأصدقاء.

[77]

العزلة ترويض النفس على الموت.

[78]

لا يجب أن نلوم إلاَّ أنفسنا عندما يهيننا الأغيار.

[79]

العدالة ليست المساواة.

[80]

المساواة ليست في المساواة.

نظلم صاحب العقل عندما نساوي بينه وبين بليد العقل.

[82]

العزلة الدنيوية ـ ترويض النفس على العزلة الأبدية.

[83]

الحُصن ـ حرية بالعبودية.

الخلاء ـ حصن بالحرية.

[84]

ليس هناك أعسر من السّهل، كما ليس هناك أسهل من الممتنع.

[85]

التعب بنقاء ضمير ـ راحة.

الراحة بوسوسة ضمير ـ تعب.

[86]

مجرّد وجود صاحب الروح على قيد الحياة ـ استفزاز لصاحب الدنيا.

[87]

لذّات الجسد تميت الروح، ولكنّ لذّات الروح تحيي الجسد.

[88]

نحن خَلْق بالملكيّة.

نحن آلهة بالتخلّي.

[89]

إذا لم نتخلَّ عن الدنيا طوعًا ـ تخلَّت عنَّا الدنيا غصبًا.

[90]

تصطحب المرأة إمرأةً حسناء لتستدرج بها الرجل.

وتصطحب المرأة إمرأةً دميمةً لكي لا تنافسها في الرجل.

[91]

الرحلة الدنيوية مدرسة للرحلة الروحية.

[92]

الوجود ـ عدم.

العدم ـ وجود.

[93]

نحن وجود بمبدأ العدم.

نحن عدم بمبدأ الوجود.

[94]

ما دام الوجود باطل، فإن العدم حقّ.

[95]

الوجود باطل بسلطان الدنيا.

العدم حقّ بسلطان الخفاء.

[96]

شهوة الروح إلى غذاء الروح كشهوة الجسد إلى غذاء الجسد: كلّما نال منه أكثر كلما ازداد نهمه إليه أكثر.

[97]

لا اعتراف بإنسان في مسقط رأسه.

[98]

لا يجب أن نصادق إنسانًا لم يتألم، لأن رسالة الإنسان الذي لم يتألم أن يؤملنا، كما رسالة الذي تألّم أن يطهّرنا من الألم.

[99]

أبلغ الوصايا ـ الوصايا التي نتعلّمها بصمت.

[100]

لا نطيق أن نرى المرأة تبكي لا لأننا نصدّق دموعها، ولكن لأنّنا لا نريدها أن تفقد جمالها.

[101]

المال يعلن عن نفسه.

[102]

لو كشف الله للناس عن نفسه لما عبدوه، لأن الناس لا يعبدون ما يرون.

[103]

السكينة - فردوسنا الذي إذا أدخلنا الى حرمه المرأة أخرجتنا منه.

[104]

عندما نتلقى إساءةً من الأغيار، ونعاقر الخمر أو نتعاطى الأفيون كي ننسى، فإننا لا نثأر لأنفسنا، ولكنّا نثأر من أنفسنا.

[105]

عندما يتّهم الرجل إمرأته برجل فإنّها سوف تتخذ لنفسها رجلاً سرًا إذا لم تتخذه قبل التهمة مع الرجل. وعندما يتهم الرجل امرأته برجل وقد اتخذت لنفسها رجلاً سرًا، فإنّها سوف تتخذ لها الرجل علنًا.

[106]

تهيئة المرأة للمخدع كإنضاج الخبز للمائدة نفقده بالعجلة، لأنه لا يؤكل نيًا. ونفقده بالإبطاء لأنه لا يؤكل محترقًا.

[107]

الزمان، للمكان، روح.

والمكان، للزمان، جسد.

[108]

الخالق مبدأ إعجاز لا في عسره، ولكن في يسره.

[109]

من وهب الوطن نفسه ـ وهبه الوطن نفسه.

[110]

عادةً لا يعرف المبدع نصًّا من عرف المبدع شخصًا، لأن من عرف المبدع شخصًا، لا يقرأ المبدع نصًّا.

[111]

هناك، حيث الرّوح أقوى من البدن، يخذلنا في دنيانا البدن.
وهناك حيث البدن أقوى من الروح تخذلنا في دنيانا الروح.

[112]

ويلٌ لروح في بدن هي فيه طرف أضعف.

وويلٌ لبدن فيه الروح طرف أقوى.

[113]

رمال الصحراء كانت يومًا بحر ماء ـ وماء البحر سيصير يومًا صحراء رمال.

[114]

شيخوخة الجسد ـ طفولة الروح.

طفولة الجسد ـ شيخوخة الروح.

[115]

الكلمة، كلّ كلمة، في حقيقتها، إخفاءٌ لا إيضاح.

[116]

الإنسان ـ لسان.

واللّسان ـ إنسان.

[117]

العزلة ـ رسول حقيقة.

العزلة ـ رسول جنون.

[118]

النجاح إذا توالى ـ ضعف.

والإخفاق إذا توالى ـ قوّة.

[119]

تخالف المرأة طبيعتها عندما تحاول أن تكون شيئًا آخر غير الأمّ.

تخالف المرأة طبيعتها عندما تحاول أن تكون شيئًا آخر غير الطبيعة.

[120]

الروح ـ ماء تبدّد.

الماء ـ روح تجسّد.

[121]

لا يجب أن نستنكر نكران الإحسان من الأغيار، لأن إحساننا لم يكن إحسانًا لهم ولكنه إحسان لله.

[122]

اللذّة ـ في الامتناع عن اللذّة، لا الإستسلام للذّة.

[123]

شعر ظاهره نثر وباطنه شعر ـ أنبل أجناس الشعر.

نثر ظاهره شعر وباطنه نثر ـ أرذل أجناس النثر.

[124]

للتعبير عن إكبارنا المرأة وحدها تريدنا أن نهديها الذهب، أمّا الرجل فيكفيه أن نهديه القلب.

[125]

كلّ ما نفعله في دنيانا فرار من الموت:

العمل ـ فرار من الموت.

الحبّ ـ فرار من الموت.

الصلاة ـ فرار من الموت.

[126]

البيوت ظاهر وباطن:

ظاهر البيوت المعمار. باطن البيوت أرواح ساكنيها.

[127]

لا نفقد شيئًا إلاّ لننال شيئًا. لا ننال شيئًا إلاّ لنفقد شيئًا.

[128]

لا نفقد إلاّ لننال، لا ننال إلاّ لنفقد.

[129]

الجمال ـ شعر المستظهر.

الشِّعْر ـ جمال المستتر.

[130]

الأوطان التي لا تميتنا، تحيينا.

[131]

كما نفقد الجاذبية الأرضية كلّما اقتربنا من السماء أكثر، كذلك نفقد جاذبية الدنيا كلّما اقتربنا من سماء الروح أكثر.

[132]

النبوءة ـ خلاص.

النبوءة ـ قصاص.

[133]

لن ننال زماننا الضائع، ما لم نسترجع فردوسنا الضائع.

[134]

الاحتفاء بيوم الميلاد ـ احتفاء بيوم الممات.

[135]

الحرية ـ غنيمة مَنْ استردّت منه الدنيا غنيمتها.

[136]

الأقسى من غياب الحقيقة ـ حضور الحقيقة.

[137]

تهب المرأة نفسها ثمنًا لكلمة ثناء من لسان رجل.

[138]

المستقرّون في ديار الوطن ـ يحملهم في القلب الوطن.

المغتربون عن ديار الوطن ـ يحملون في القلب الوطن.

[139]

من كسب ألف جولة في عراكه مع الناس، يخسر الجولة الأخيرة في عراكه مع الزمن.

[140]

بالإبداع لا نعبر الجحيم فحسب، ولكن الجحيم يعبرنا.

[141]

الأقسى من الجحيم الذي نعبره ـ الجحيم الذي يعبرنا.

[142]

الحياة صفقة ـ ندفع في بدايتها الألم ثمنًا، وندفع في نهايتها الموت ثمنًا.

[143]

لم يفرّ آدم من الفردوس بخروجه من الفردوس، ولكنّه فرَّ من المرأة التي شاركته عزلة الفردوس.

[144]

ما أبرعنا في استحداث ما يلهينا.

[145]

ما أبرعنا في استحداث ما يلهينا عن حقيقتنا.

[146]

ـ إذا أردت أن يحبّك الناس يجب أن تحبّ الناس.

ـ لا أريدهم أن يحبّوني.

ـ لا تريد أن يحبّوك؟

ـ أريدهم أن يصدّقوني.

ـ أكاد أصدّق أنك تحمل لهم وصية.

ـ كل إنسان في هذه الدنيا وصية.

[147]

نحن حكماء بالألم لا بالعلم.

[148]

نحن حكماء بالألم.

نحن أشقياء بالعلم.

[149]

روح صاحب الدنيا ـ الكنز.

كنز الناسك ـ الروح.

[150]

الخطر في الصمت:

إذا سكن الهواء، فانتظر العاصفة.

إذا هدأ الزمان، فانتظر الكارثة.

[151]

لا نستطيع أن نقود الى النعيم أناسًا أراد لهم الله الجحيم.

[152]

لا نستطيع أن نعرف إنسانًا لم نعرف أحلامه.

[153]

لا نستطيع أن نتنبّأ بمسلك إنسان لم نعرف آلامه أو آماله.

[154]

نتجاهل كنزًا بحوزتنا لا يكلّفنا شيئًا إسمه: التأمّل، وننفق كنوزًا طائلة لابتداع وسيلة تلهينا عن تأمل حقيقتنا.

[155]

من لم يكن الزمان في قلبه، لن يفيد من الزمان المثبّت في معصمه.

بعد قراءة الصحف لا يكفي أن نغسل أيدينا، ولكن يجب أن نغسل عقولنا أيضًا.

[157]

الحياة ـ استثناء نحاول أن نقلبه قاعدةً.

والموت ـ قاعدة نحاول أن نقلبها استثناءً.

[158]

لن نحبّ مَنْ لم نعرف.

لن نعرف مَنْ لم نسمع.

[159]

التَّريّض ـ صلاة الجسد.

التأمّل ـ صلاة الروح.

[160]

عضلة بين الفخذين ـ سَوْأَة الجسد.

عضلة بين الفكّين ـ سَوْأَة الروح.

[161]

يجب أن نفقد دومًا كي نجد يومًا.

[162]

لا يحسن لنا الأقرباء كما يحسن لنا الغرباء.

[163]

من اصطفاه الخفاء للدنيا ـ وهبه ثروة.

من اصطفاه الخفاء لنفسه ـ وهبه حقيقة.

[164]

بيت بلا أهل ـ جسد بلا روح.

[165]

عدوّ حكيم أفضل من حميم لئيم.

[166]

أنظمتنا الدنيوية انعكاس لنوايانا الخفيّة: لو تأمكلنا أنفسنا عميقًا لاكتشفنا في أرواحنا أولئك الطغاة الذين سننقلب إليهم لو سنحت لنا الفرص واستطعنا أن نتولّى أمر الناس مرّة.

[167]

يهفو الناس إلى التغيير حتى لو كانوا يدرون أن التغيير لن يجلب لهم إلاّ سوء المصير.

[168]

لا يفلح في إبداع الرواية الشيّقة إلا من استمتع بقراءة الرواية المملّة.

[169]

يرى الرجل نفسه شيخًا حتى وهو في مقتبل العمر، وترى المرأة نفسها فتاةً حتّى لو بلغت من العمر عتيًّا.

[170]

السلطة مهزلة في كل حال: أنبلها ما أدبر، وأرذلها ما أقبل.

[171]

لا تميتنا الطبيعة كراهةً فينا، ولكن حبًّا فينا، لأنها تعلم أنها لن تستردّنا إلاّ في الموت.

[172]

الزمان يمضي، والمكان يمضي، وكل ما لا يرحل يزول.

[173]

شقيٌّ من أدركته الشيخوخة ولم يعرف بعد نفسه.

[174]

يقين الصغار بأنهم يلهون ـ يجعلهم يعملون.

ويقين الكبار بأنهم يعملون ـ يجعلهم يلهون.

[175]

رذيلة المِلكيّة في أنها العبء الوحيد الذي نحمله معنا في رحلة الأبدية، لأنها بطبيعتها لا تحتلّ فينا الجسد، وكنها تنال فينا الروح.

[176]

يَسْأَم صاحب الدنيا دنياه بغياب اللّهو.

ويسأم صاحب الحكمة دنياه بغياب الكتاب.

[177]

نحن ملفّقون من نفس الطينة التي لفّقت منها أوطاننا.

[178]

الدمع ـ جليدُ حزنٍ ذاب.

الحزن ـ جليد دمع استعصى.

[179]

نحن ظلال سماء تدبّ على سطح الأرض.

[180]

الزمان ـ روح المكان.

المكان ـ قناع الزمان.

[181]

الزمان ـ مكان تخفّى.

المكان ـ زمان تبدّى.

[182]

بوجود الشيء ـ نعي وجود اللاشيء.

[183]

إذا دخل الله قلبًا خرجت منه المرأة.

وإذا دخلت المرأة قلبًا خرج منه الله.

[184]

الصحراء عارية بالجسد، ولكنّها خفيّة بالروح.

[185]

اللذّة ـ في غياب اللذّة.

[186]

معاندة الكتب تبيد الحياة الدنيا:

تذهب قراءتها بنصفها الأوّل، وتذهب كتابتها بالبقيّة الباقية.

[187]

في النصف الأول من العمر نحن ضحية تذبذب مزاج الدنيا.

في النصف الثاني من العمر نحن ضحية تذبذب مزاج الطبيعة.

[188]

إذا كانت العزلة صلاة أهل اليقين، فإن الصلاة عزلة أهل الدنيا.

[189]

الموت ـ عزلتنا الكبرى.

العزلة ـ ميتتنا الصغرى.

[190]

المرأة بطبيعتها جنسان: امرأة لا تحبّ إلاّ الرجل الذي يحبّها، وامرأة لا تحبّ إلاّ الرجل الذي لا يحبّها. الجنس الأوّل يسمّى في معجم الخلْق «المرأة السويّة»، والجنس الثاني يسمى في معجم علم النفس «المرأة الماليخولية».

[191]

من حقّ المرأة ألاَّ تحبّ من يحبّها إذا كانت غايتها الحرية.

ومن حقّ المرأة ألاَّ تحبّ إلاَّ من يحبّها إذا كانت غايتها السعادة.

[192]

مظهر الحقيقة - الجمال.

جوهر الجمال - الحقيقة.

[193]

تغير المرأة على رجلها حتّى من النجاح.

[194]

تغير المرأة على رجلها من النجاح ربّما وعيًا منها بأن النجاح للنساء شَرَك.

[195]

يحترف الإنسان السياسة عندما لا يجد ما يفعل.

[196]

الروح تتعطّش إلى الماء كي تتجسّد.

والجسد يتعطّش إلى النار كي يتحرّر.

[197]

العسر قدر الإنسان: فنحن لا نموت بعسر وحسب، ولكنا نحيا بعسر، نحن لا نحيا بعسر وحسب، ولكنّا نولد بعسر.

[198]

الموت أيضًا رسالة خلاص: فهو إمّا خلاص من وجع المرض، أو من وجع السأم، أو من وجع الشيخوخة.

[199]

الموت ليس في الموت. الموت في انتظار الموت.

[200]

قصاص الكُلّ - أن ينفصل عنه الجزء.

قصاص الجزء - أن ينفصل عنه الكُلّ.

[201]

تخفي الصحراء في جوفها بحرًا.

ويخفي البحر في جوفه صحراءً.

[202]

لم تحكم علينا الطبيعة الخافية بالإعدام عندما حكمت علينا بالموت، ولكن كان يمكن أن تحكم علينا بالإعدام حقًّا لو حكمت علينا بالحياة إلى الأبد.

[203]

القصاص المميت ليس أن نموت. القصاص سيكون مميتًا حقًّا لو أحيتنا الطبيعة الخافية خالدين فيها أبدًا ما لم تنزع من أجسادنا شوكة إسمها السّقم، ومن أرواحنا شوكة أخرى إسمها السأم.

[204]

الروح ـ ضوء الجسد.

الجسد ـ ظلام الروح.

[205]

مَنْ ينتظر من أخيه الإنسان امتنانًا عن إحسان كمن ينتظر نيل الخلود من الطبيعة الخافية.

[206]

نشترك كلْنا في امتلاك دنيا الباديات، ولكنّا لا نشترك كلّنا في امتلاك عالم الخافيات.

[207]

الحقيقة، الجمال، الخير: الأقنعة الثلاثة للمبدأ الواحد.

[208]

أجمل حقيقة ـ حقيقة تنقلب أسطورة.

وأجمل أسطورة ـ أسطورة تنقلب حقيقة.

[209]

نحن لا نعبد إلاّ الحقيقة التي تنقلب أسطورة.

ولا نؤمن إلاّ بالأسطورة التي تنقلب حقيقة.

[210]

الحقيقة ـ أسطورة تبدّت.

الأسطورة ـ حقيقة تسترت.

[211]

يبكي مَنْ فقد المِلْكيّة خوفًا من الحرية.

ويبكي من نال المِلْكيّة حزنًا على فقدان الحرية.

[212]

الحرية كالنبوءة ـ نيلها قصاص وفقدها قصاص.

والملكية كالدنيا ـ فقدها تيه ونيلها انتماء.

[213]

لكلّ فعل من أفعالنا غايتان: غاية واعية وغاية لا واعية. وعندما نخفق في تحقيق الغاية الواعية، فإننا نكون قد حقّقنا الغاية اللاواعية.

[214]

نستطيع ألاّ نكتب، ولكنا لا نستطيع ألاّ نتكلّم. ولكن عندما يحتاج الأمر إلى التعبير، فإنّا نعبّر بالقلم أفضل ممّا نعبّر بالفم.

[215]

ينفر الناس من إنسان اشتمّوا في أفعاله سعْيًا وراء منفعة، برغم يقين الناس بأن ما يجمعهم في الأساس هو المنافع.

[216]

الوجع ـ نفع.

اللّذّة ـ ضرر.

[217]

ما نبحث عنه هو ما نفرّ منه: نفرّ من أنفسنا، بحثًا عن أنفسنا.

[218]

لا يبدع الإنسان في شيء، ما لم يعش تجربة اللاّشيء.

[219]

وجود ما نملك بوجودنا موجود، ولكن بوجود ما نملك وجودنا مفقود.

[220]

مسحة قدمة ـ سيماء ألوهة.

[221]

النعيم بغياب الخلْق ـ جحيم.

الجحيم بحضور الخلْق ـ نعيم.

[222]

الأغيار الذين لم نتح لهم الفرصة كي يخدعونا ـ يصيرون لنا أعداء.

[223]

وضع عشيق الزوجة الذي يعشق معشوقته أسوأ من وضع زوج الزوجة الذي لا يعشق زوجته.

[224]

مأساة الإنسان في أنَّه لا يستطيع أن يعيش وحيدًا لأنه وُلد ليحيا مع الناس، ولا يستطيع أن يحيا مع الناس لأنه لم يجيء إلى الدنيا إلاَّ وحيدًا.

[225]

الحقيقة في العدم.

[226]

عاشق ومعشوق: جسدان بروح واحدة.

[227]

شقوة العاشقين تكمن في الروح الواحدة التي تتمزّق بين جسدين.

[228]

حقيقة الوجود في العدم، ولكن حقيقة العدم ليست في الوجود.

[229]

قرينات الأخلاَّء أرحم بنا من قريناتنا: تعاملنا قرينات الأخلاَّء بناموس الحفاوة، وتعاملنا قريناتنا بناموس القساوة.

[230]

الصقور التي تصرع الغزلان، تنهزم أمام الغربان.

[231]

خلق الله المرأة لتكون للرجل جنَّةً، فصارت المرأة للرجل عزلةً.

[232]

الصحراء ـ الفردوس الذي نحلم به، ولا نستطيع أن نحيا فيه.

[233]

الحياة ـ جدول هزيل بين صحرائين أبديتين: صحراء الماقبل، وصحراء المابعد.

[234]

الصحراء كالحرية ـ لا نستطيع أن نحترفها، ولا نستطيع أن ننكرها.

[235]

الفردوس ـ حلم ندفع الحياة له ثمنًا، ثمَّ نأتي بامرأة تطردنا منه.

[236]

الرجل كالحيّة: إذا نازعناه ولم نَنَل منه مقتلاً، نال هو منّا مقتلاً.

[237]

السعادة من نصيب الذين يطلبونها، لا الذين ينتظرونها.

[238]

قد تكبر المرأة الرجل النّبيل، ولكنّا ترتمي عادةً في أحضان الوغد!

[239]

عطب الجسد ـ ما يعيب المرأة.

عطب العقل ـ ما يعيب الرجل.

[240]

خُلِقَ الموت لكي يحرّرنا من الشيخوخة، وخُلقت الشيخوخة لكي لا يخيفنا الموت.

[241]

عافية الروح ـ الألوهة.

ألوهة الجسد ـ العافية.

[242]

الأمر مع المرأة في كلّ حال عُسْر في عُسْر: ننالها بعُسْر، ونتحرّر منها بعُسْر.

[243]

يخدمنا أناس رأوا في أيدينا ذهبًا لا طمعًا في نيل الذهب، ولكن إكبارًا لمواهبنا التي نالت الذهب.

[244]

المرأة ـ الفردوس الذي أخرجنا من الفردوس.

[245]

بالمال ـ نعلم حقيقة الدنيا.

بالمعرفة ـ نعلم حقيقة الروح.

[246]

كل عمل شرف، ما لم يكن استهانة بالشرف.

[247]

واهمون إذْ نعتقد أن يصادقنا الناس ونحن نعلم بأن الناس عاجزون بطبيعتهم أن يصادقوا حتّى أنفسهم.

[248]

قد يحسن إلينا مَنْ لم نعرف أكثر مما يحسن إلينا من عرفنا؛ لأن من عرفنا يحسدنا، ولكن من لم نعرف يريد أن يكسبنا.

[249]

الدخول إلى البيت دائمًا دخول إلى حَرَم أصغر، والخروج من البيت دائمًا خروج إلى حَرَم أكبر.

[250]

البيت ـ حَرَم خليفة الله في الأرض.

الحَرَم ـ بيت من جعل الإنسان خليفة في الأرض.

[251]

البليّة ليست في أن نفقد القدرة على أن نأمل، البليّة في أن نفقد القدرة على أن نتأمّل.

[252]

لا تبارك لنا الأقدار في ثراء نلناه غصْبًا سواء أكان مالاً انتشلناه من يد إنسان، أم كنزًا انتزعناه من بطون أمّنا الأرض.

[253]

الروح التي نسكنها ـ تسكننا.

[254]

أسوأ أجناس الجحيم ـ جحيم نحسبه نعيمًا. وأسوأ أجناس النعيم ـ نعيم نحسبه جحيمًا.

[255]

لم يكن الفردوس ليكون فردوسًا لو لم توجد في الفردوس ثمرة الحرام.

[256]

كلّ شراء ـ شرّ، إلاّ شراء الحريّة.

كلّ بيع ـ حرّية، إلاّ بيع الضمير.

[257]

ضعف المرأة في حضور الرجل ـ قوّة.

قوّة الرجل في حضور المرأة ـ ضعف.

[258]

المجد يصنعه الظلّ لا الضوء؛ ربّما لأن الضوء كرديف للألوهة لا يطيق إلى جواره شريكًا.

[259]

يستخدم اللسان اليوناني القديم حرف الألف (a) كأداة نفي. وكلّ من أُوتي علمًا بعلم اللغات يعلم أن الحروف الصائتة غير معترف بها كحروف في الصرح اللغوي. أي أن اللغة اليونانية تسمّي في الواقع نقيض الإسم بذات اللفظ الذي تطلقه على الإسم. وكأنها بذلك تقول لنا أن الشيء ونقيض الشيء ليسا في الحقيقة سوى شيء واحد. وليس ذلك غريبًا على العقل اليوناني الذي اكتشف لأوّل مرّة، بفلسفة هيراقليط، ناموس الجدل.

[260]

بالتئام المرأة والرجل يتلذّذ الجسد.

بانقسام المرأة والرجل تتوجّع الروح.

[261]

المخدع ـ واحة وئام يتلذّذ فيها القرينان بالجسد.

الدنيا ـ ساحة خصام يتعذّب فيها القرينان بالروح.

[262]

لو حاد العالم يومًا عن مبدأ الحياد لما ظلَّ العالم سرًّا مغلقًا.

[263]

مَنْ لا يُقهر حقًّا - مِنْ لا يملك ما يخسر.

[264]

الألوهة، كالوجود، مبدأ حياد.

[265]

صارت الصحراء رديفًا للحرية لأنها المكان الذي لا نستطيع أن نركن إليه.

[266]

حقيقة الإنسان في قلبه لا في عقله، وبرغم ذلك فإننا نؤثر أن يثني الناس على عقولنا بدل قلوبنا.

[267]

الروائي يروي عندما يتأمّل لا عندما يتكلّم.

[268]

المبدع ـ إنسان يمسح دموع الناس بدموعه.

[269]

الضعف سلاح المرأة في تدبير المكيدة أيضًا، لأن الرجال يتعاطفون مع ضعفها فيعميهم ذلك عن حقيقتها.

[270]

البحث عن المكان الضائع وجه آخر للبحث عن الزمان الضائع، كما البحث عن الزمان الضائع الوجه الآخر للبحث عن المكان الضائع.

[271]

لا تدخل السعادة بيوتنا إن لم ندخلها بيوت الآخرين.

[272]

البيت بيت ما ظلّ حنينًا، فإن تحوّل واقعًا انقلب قبرًا.

[273]

أيجوز أن نكذب إذا كان في الكذب خلاصًا من جور أو إحقاقًا لعدالة؟

[274]

الوردة وردة في حقل أو في بستان، لا في المزهرية.

[275]

أليس مفارقة أن الألوهة التي جعلت من اللسان سببًا لألوهة الإنسان قد اختارت الإمتناع عن الكلام؟

[276]

كتاب تمثّله امرأة أفضل من كتاب توحي به امرأة.

[277]

كاد نزوع الحيوان إلى الاجتماع يجعل من الحيوان إنسانًا، وكاد نزوع الإنسان إلى الاعتزال يجعل من الإنسان حيوانًا.

[278]

لا دخان بلا نار، ولكن الدخان ليس نارًا.

[279]

نحن الزمان؛ لأن باختفائنا يختفي الزمان.

نحن المكان؛ لأن باختفائنا يختفي المكان.

[280]

الماء، بالتبدّد، زمان.

الماء، بالتجسّد، مكان.

[281]

المال ـ الدنس الذي يستطيع أن يطهّرنا من الدنس.

[282]

جمال الجسد ـ جمال الروح إذا فاض على المظْهَر.

جمال الروح ـ جمال الجسد إذا تسلّل إلى الجوهر.

[283]

الزمان، كالعافية، إذا لم نستشعر وجوده فذلك برهان على الرخاء.

[284]

يفرّ الحكيم من الشَرَك الذي يلهيه عن نفسه، ويفرّ صاحب الدنيا إلى الشَرَك الذي يلهيه عن نفسه.

[285]

قد لا نخفق عندما ننازع لإنجاز شأن يفوق مواهبنا مثلما نخفق عندما ننازع لإنجاز شأن تفوقه مواهبنا.

[286]

أُمّةٌ لا تحسن الغناء ـ أمّة لا تحسن الصلاة.

[287]

الروح الصوفية للغناء كالروح التأملية للصلاة.

.

[288]

من حقّ المرأة أن ترى في الكتب عدوًّا، لأن الكتب تختلس من المرأة أنبل الرجال.

[289]

الجيوش الجزّارة قد تصلح للإستعراض، ولكنها لا تصلح للحروب.

[290]

إذا لم يرهب الجيش الجرّار الأعداء بالعدد، فإنه لن يفلح في إرهابهم بالحرب.

[291]

شيب الشجر ـ لونه أصفر.

[292]

ليس هناك أكثر مرونة من الحيّة جسدًا إلاً الماء، وليس هناك أكثر شراسة من الحيّة روحًا إلاً الماء. ألهذا يا ترى صارت الحيّة في مثولوجيات الأمم حارسًا على المياه؟

[293]

ليس أخطر علينا من إنسان يرى في الهلاك خلاصه.

[294]

نجد خيرًا في إنسان واحد، ونجد شرورًا، في ألف إنسان. ولكن الخير الذي نجده في الإنسان الواحد يستطيع أن يشتري الشرور التي نجدها في الألف إنسان.

[295]

في الخريف تتخضّب الأشجار بالحنّاء، استعدادًا للمبيت في مخدع الشتاء.

[296]

الأسخى من كلّ سخيّ ليس الإنسان الذي يقتسم مع الأغراب خبزه، ولكنه الإنسان الذي يقتسم مع الأغراب وطنه.

[297]

الجلاّد ليس من يميت إنسانًا تنفيذًا لقصاص القضاء، ولكن الجلاّد هو الإنسان الذي يُبْقِي على حياة إنسان لا يريد أن يعيش.

[298]

بعض الناس كالكلاب التي لا ننجو من شرّها إذا لم تَرَ في يدنا العصا.

[299]

براءة الطفولة ليست فضيلة.

[300]

إذا كانت المرآة للمرأة قرين، فإن المرآة للرجل عدوّ: لأن مبدأ الإزدواج إذا كان للمرأة فضيلة، فإنه للرجل رذيلة.

[301]

الإسم لأهل الباطل ـ وسْم.

الإسم لأهل الباطن ـ هويّة.

[302]

لا نستطيع أن نبدي اهتمامنا بالمرأة دون أن ترى في ذلك طمعًا منّا في أنوثتها، كما لا نستطيع أن نتحفّظ في اهتمامنا بالمرأة دون أن ترى في ذلك تجاهلاً منّا لأنوثتها.

[303]

المدينة صنيعة صحراء، ولكن الصحراء ليست صنيعة مدينة.

[304]

قلب الأم ـ بيت النوع.

قلب المبدع ـ بيت العَالَم.

[305]

لذّة التجربة الدنيوية ـ مرارة.

مرارة التجربة الإبداعية ـ لذّة.

[306]

المحنة أن روح العالم رهينة في قبضة مخلوقات بلا روح: خدم وسماسرة ونساء!

[307]

تكابر المرأة أمام الرجل متباهية بقدرتها على قلب العالم رأسًا على عقب إلى أن تعجزها الحيلة في تحقيق أحقر شأن. عندها لا تستحي الشقيّة من أن تعترف بالقول: «ما أنا سوى امرأة!».

[308]

شقيّ من يتظلّم، لأنه يرى في الظلم تغييبًا للعدالة، في حين يرى الأغيار في تظلّمه استجداءًا لإحسان!

[309]

فرخ الطير كلّه جوف.

[310]

يغترب المعنى في كلا الحالين: إذا قلناه بلغة أردأ مما ينبغي، أو إن قلناه بلغة أجمل مما ينبغي.

[311]

جمال العبارة ـ لصّ الفكرة.

[312]

الصحراء بحضور الماء ـ مدينة.

المدينة بغياب الماء ـ صحراء.

[313]

الطبيعة مبدع يحرّر خطابه بمداد الماء:

ماء يهجع في البحيرة ـ رسالة الأرض إلى السماء.

ثلج يهجع على شعفة الجبل ـ رسالة السماء إلى الأرض.

[314]

حتى القبح إذا تَخَفَّى ينقلب جمالاً.

[315]

حوائج آجلتنا في أيدينا، حوائج عاجلتنا في أيدي الأغيار.

[316]

يقول لسان حال الرجل: حمدًا للسماء التي خلقتني رجلاً لكي أقترن بامرأة لا برجل، لا علمًا منه بفضيلة المرأة، ولكن جَهْلاً منه بحقيقة الرجل.

ويقول لسان حال المرأة: حمدًا للسماء التي خلقتني امرأة لكي أقترن برجل لا بإمرأة، لا إكبارًا منها لحقيقة الرجل، ولكن علمًا منها بحقيقة المرأة.

[317]

سرّ الجسد في التّثنية، سرّ الروح في الأحَدِية.

[318]

معاناة مَنْ يتفرّج على اللّعب تفوق معاناة من يمارس اللّعب.

[319]

عدم استغناء الرجل عن المرأة ليس للمرأة شهادة براءة.

[320]

خُلِق الرجل ليعرف الخالق، وخُلِقَت المرأة لتعرف الرجل.

[321]

وجود المرأة بغياب الرجل باطل، ولكنّ وجود الرجل ليس باطلاً بغياب المرأة.

الغريزة ـ وسوسة الجسد.

الحدس ـ وسوسة الروح.

[323]

تستطيع المرأة أن تكون كاهنة، لأن وحي الكهانة هبة الطبيعة، ولكن المرأة لا تستطيع أن تكون نبيّة، لأن وحي النبوّة هبة الروح.

[324]

العاشق أسوأ حالاً من حال الشحّاذ: الشحّاذ يطلب إحسانًا في متناول اليد، ولكن العاشق يطلب المحال.

[325]

في الطبيعة سرّ نستشعر حميميّته بالروح، ولكننا لا ندرك حقيقته بالعقل.

[326]

نحن نستمتع بما لا نملك، لا بما نملك.

[327]

عدم وجود الحقيقة ـ أيضًا حقيقة.

[328]

عندما نسأل الرجل أمرًا مّا فيقول: «أمهلني لأفكّر» فاعلم أنه سيرفض.

وعندما نسأل المرأة أمرًا مّا فتقول: «إمهلني لأفكّر» فاعِلم أنها ستوافق.

[329]

الماء يتبدّى ليحيي الجسد.

الماء يتبدّد ليحيي الروح.

[330]

لا يبدع الرواية من يتسلّى. يبدع الرواية من يتألّم.

[331]

الجمال ـ حكمة الجسد.

الحكمة ـ جمال الروح.

[332]

الجمال ـ حكمة وقت.

الحكمة ـ جمال أبد.

[333]

الجمال ـ حكمة استظهرت.

الحكمة ـ جمال استخفى.

[334]

الزمان ـ مكان تبدّد.

المكان ـ زمان تبدّى.

[335]

المبدع: غريب بالدنيا في الأبدية، غريب بالأبدية في الدنيا.

[336]

أغفلتنا بالأيام، أم استهتارنا بالزمان، ما يجعلنا نرى في الموت زائرًا مباغتًا حتى لو جاءنا وقد بلغنا من العمر عتيًّا؟

[337]

يحسن إلينا الأموات بأفكارهم، ويسيء إلينا الأحياء بأفعالهم.

[338]

بالتجربة ـ نكتشف حقيقة الدنيا.

بالمعرفة ـ نكتشف حقيقة الرّوح.

[339]

نزيف الجسد ـ الدّم.

نزيف الروح ـ الكَلَم.

[340]

أوراق شجر استصفرت ـ حجّة اغتراب استظهرت.

[341]

امرأة فقدت رجلاً ـ امرأة فقدت نفسها.

رجل فقد امرأة ـ رجل استردّ نفسه.

[342]

امرأة بلا رجل ـ امرأة ضائعة، ولكن الرجل بلا امرأة ليس رجلاً ضائعًا.

[343]

بالحياة ـ نحن غرباء الدنيا.

بالموت ـ نحن غرباء الأبديّة.

[344]

لولا لهفة الإنسان إلى اللذّة لمات أهل الطبّ جوعًا.

[345]

أن تترصّدنا عدسة تصوير أهون من أن تترصّدنا عين إنسان: عدسة التصوير تنقل ما نفعل، وعين الإنسان تضيف إلى ما نفعل ما لا نفعل.

[346]

الصحراء ـ برزخ قائم بين ملكوت الخافية ومملكة البادية.

[347]

لو لم تكن الصحراء برزخًا فاصلاً بين البادية والخافية لما صارت الصحراء وطنًا للنبوءة.

[348]

الصحراء مطهّر: ظاهره جحيم، ولكن باطنه نعيم.

[349]

الصحراء بديل لمبدأ الميتافيزيقا: من عاش تجربة الصحراء ليس بحاجة لأن يعيش تجربة الميتافيزيقا.

[350]

وجودنا لغز محكوم بناموس الجدل: لا ننال ما استظهر إلاّ إذا فقدنا ما استتر، ولا ننال ما استتر إلاّ إذا فقدنا ما استظهر.

[351]

لا نشتري الحكمة إلاّ إذا دفعنا لها الشيخوخة قربانًا.

[352]

بالحرص نستفزّ ما استظهر، بالزهد نسترضي ما استخفى.

[353]

تميتنا أمّنا الطبيعة صغارًا، رحمةً بنا من عذاب الدنيا، وتميتنا أمّنا الطبيعة كبارًا رحمةً بنا من عذاب الشيخوخة.

[354]

قد يتأخّر الشتاء ليستمهل الأشجار التي لم تستكمل التعرّي من ستورها.

[355]

من لا يعترف بهزيمته لا ينتصر.

[356]

بميلادنا في الجسد نولد بالروح في جسد آخر اسمه الوطن.

[357]

خواء الطبل يبدع لحنًا.

خواء البطن يبدع عقلاً.

[358]

بخواء الجسد يتحقّق امتلاء الروح.

بامتلاء الجسد يتحقّق خواء الروح.

[359]

ما بيد خالق الخلْق أيسر منالاً ممّا بيد خلْق الخالق.

[360]

الماء مارد قدره الفرار: إذا مالت به الأرض جَرَى أفقًا، وإذا استوت به الأرض طار إلى أعلى.

[361]

كما لا يطيق البصر التحديق في الشمس، كذلك لا تطيق البصيرة التحديق في الموت.

[362]

الشجاعة أن نتخلّى.

الجبن أن ننال.

[363]

الزمان كالريح ـ يمحو في دفتر اليوم، ما كتبه في كتاب الأمس، وينكر في قاموس الغد، ما اعتنقه في ناموس اليوم.

[364]

شباب مقرون بطيش ـ شيخوخة.

شيخوخة مقرونة بعقل ـ شباب.

[365]

يجب أن نرى في العدوّ صديقًا، لأن العدوّ يمكن أن ينقلب صديقًا. كما يجب أن نرى في الصديق عدوًا، لأن الصديق يمكن أن ينقلب عدوًا.

[366]

الكَلَم ـ كتابة اللسان.

الكتابة ـ لسان الذاكرة.

[367]

تتمنّع المرأة قبل أن ينالها الرجل.

يتمنّع الرجل بعد أن ينال المرأة.

[368]

الشجاعة ليست أن تتباهى بالشجاعة.

الشجاعة أن تعترف بالهزيمة.

[369]

شجاع من اعترف بهزيمة، والأشجع منه من احتمل وِزْر الهزيمة.

[370]

الوقت الذي لا نقتله بالعمل، يقتلنا بالملل.

[371]

لو لم يؤلِّه الناس حاكمًا، لما عرفت الأجيال طاغيًا.

[372]

سرّ لا تريد أن تكشفه للملأ، لا تُسمِعه لامرأتك. وسرّ لا تريد أن تكشفه لامرأتك، لا تسمعه لمولود امرأتك.

مؤلفات إبراهيم الكُوني

1 ـ الصّلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص)، 1974م.

2 ـ جرعة من دم (قصص)، 1983م.

3 ـ شجرة الرتم (قصص)، 1986م.

ـ رباعية الخسوف، 1989م.

4 ـ البئر (رواية).

5 ـ الواحة (رواية).

6 ـ أخبار الطوفان الثاني (رواية).

7 ـ نداء الوقواق (رواية).

8 ـ التبر (رواية)، 1990م.

9 ـ نزيف الحجر (رواية)، 1990م.

10 ـ القفص (قصص)، 1990م.

11 ـ المجوس (رواية)، الجزء الأول 1990م.

12 ـ المجوس (رواية)، الجزء الثاني 1991م.

13 ـ ديوان النثر البرّي (قصص)، 1991م.

14 ـ وطن الرؤى السماويّة (قصص) 1991م.

15 ـ الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص)، 1992م.

16 ـ خريف الدرويش (رواية ـ قصص ـ أساطير)، 1994م.

17 ـ الفم (رواية)، 1994م.

18 ـ السحرة (رواية)، الجزء الأول 1994م.

19 ـ السحرة (رواية)، الجزء الثاني 1995م.

20 ـ فتنة الزؤان (رواية)، 1995م.

21 ـ برّ الخيتعور (رواية)، 1997م.

22 ـ واو الصغرى (رواية)، 1997م.

23 ـ عشب الليل (رواية)، 1997م.

24 ـ الدمية (رواية)، 1998م.

25 ـ صحرائي الكبرى (نصوص)، 1998م.

26 ـ الفزاعة (رواية)، 1998م.

27 ـ الناموس، (الجزء الأول) 1998م.

28 ـ في طلب الناموس المفقود، (الجزء الثاني من الناموس)، 1999م.

29 ـ سأسِرُّ بأمري لخلانيّ الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الأول، الشرخ، 1999م.

30 ـ أمثال الزمان، (الجزء الثالث من الناموس)، 1999م.

31 ـ سأسرُّ بأمري لخلانيّ الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الثاني، البلْبال، 1999م.

32 ـ سأسرُّ بأمري لخلاّني الفصول (ملحمة روائية)، الجزء الثالث، برق الخُلَّب، 1999م.

33 ـ وصايا الزمان، 1999م.

34 ـ نصوص الخلق، 1999م.

35 ـ ديوان البر والبحر (نصوص)، 1999م.

36 ـ الدنيا أيام ثلاثة (رواية)، 2000م.

37 ـ نزيف الروح (نصوص)، 2000م.

38 ـ أبيات (نصوص)، 2000م.

39 ـ بيتٍ في الدنيا وبيت في الحنين (رواية)، 2000م.

40 ـ رسالة الروح (نصوص)، 2001م.

41 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان)، جزء1، (أوطان الأرباب)، 2001م.

42 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان)، جزء 2، (أرباب الأوطان1) 2001م.

43 ـ بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان)، جزء 3، (أرباب الأوطان 2) 2001م.

44 ـ المحدود واللاّمحدود (نصوص)، 2002م.

45 ـ أنوبيس (رواية) 2002م.

46 ـ مقدمة في ناموس العقل البدئي، (الجزء الرابع من «بيان في لغة اللاهوت»).

47 ـ لحونٌ في مديح مولانا الماء (متون)، 2002م.

48 ـ منازل الحقيقة (متون)، 2003م.

49 ـ أسطورة حبّ إلى سويسرا «رأس الحكمة» (متون)، 2003م.

50 ـ البحث عن المكان الضائع، (رواية)، 2003م.

51 ـ الصحف الأولى (متون) 2004م.

52 ـ ملحمة المفاهيم (الجزء الخامس من بيان في لغة اللاهوت) 2004م.

مؤلفات إبراهيم الكُوني النظرية

53 ـ ثورات الصحراء الكبرى، 1970م.

54 ـ نقد ندوة الفكر الثوري، 1970م.

55 ـ ملاحظات على جبين الغربة، 1974م.

المحتويات

E A R L I E R   P A G E S





الصُحُفُ الأولى
أساطير ومُتون

- المسرح دنيا ـ الأغلبيّة فيها تتفرّج على الأقليّة .
- والدنيا مسرح ـ الأقليّة فيها تتفرّج على الأغلبيّة .
- بالدنيا ـ نحن أموات حتّى لو عشنا .
- بالكتاب ـ نحن أحياء حتّى لو متنا .
- يجب أن نحترس من دسّ الأفكار الرديئة في بطون الكتب ، لا لأنّ الأجيال سوف ترثها ، ولكن لأنّ الأجيال سوف تصدّقها .
- الحريّة ـ فردوسُ مَن عرف الحريّة .
- الحريّة ـ جحيم مَن لم يألف غير العبوديّة .

ISBN 9953-36-559-8

